

التخطيط اللغوي لتأصيل الهوية العبرية في فلسطين
دراسة في جغرافية اللغات

بحث مقدم إلى

مؤتمر الهوية واللغة في الوطن العربي

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الدوحة

٢٠١٢ / ١٤٣٣ هـ / م

دكتور

عبد العظيم أحمد عبد العظيم

قسم الجغرافيا.. كلية الآداب

جامعة دمنهور.. مصر

ملخص الدراسة:

تلجأ المجتمعات والدول إلى التخطيط اللغوي لحل مشكلة خاصة في منطقة جغرافية تسودها لغة ما؛ كما هو الحال في منافسة العبرية للعربية في فلسطين المحتلة. فبعد أن اختفت العبرية وماتت مع التهجير البابلي (٥٦٧ ق.م) عادت إلى الظهور على خريطة اللغات في القرن العشرين. وكان معظم الوافدين إلى فلسطين المحتلة يجهلون العبرية إلا أن التخطيط اللغوي هنالك عمل على جعل هذه اللغة رسمية. ومن ثم يعرض هذا البحث للمقارنة بين كلا اللغتين "العربية والعبرية" من حيث التحديات والتخطيط اللغوي في كلٍّ، مع رسم خريطة ذهنية لما سيكون عليه مستقبل كل منهما في فلسطين.

الكلمات الدالة:

اللغة العبرية . اللغة العربية . اليديشية . التخطيط اللغوي . جغرافية اللغات .

مقدمة

اللغة نظام من الرموز الصوتية العفوية يتم بواسطتها التفاهم بين أفراد المجتمع، وتخضع هذه الأصوات للوصف من حيث المخارج أو الحركات التي يقوم بها جهاز النطق ومن حيث الصفات والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظواهر النطقية^١

وتعد اللغة من الركائز الأساسية للجغرافيا الحضارية Cultural geography ورغم ذلك، تقع دراستها حاليًا عند هامش اهتمام الأكاديميين من الجغرافيين وبعيدًا عن قلب وبؤرة هذا الاهتمام الذي يركز على موضوعات مغايرة.^٢ ورغم أن اللغة هي ناقل carrier الثقافة والهوية، إلا أنها لم تلق ما تستحقه من دراسة جغرافية، وبينما نجد أن دراسة التركيب الداخلي للغات هو اهتمام العالم اللغوي؛ فإن المهم الأول للجغرافي هو التحليل المكاني للغات وللجماعات المتحدثة بها.^٣

واللغة مكون رئيس لشخصية الأقاليم الجغرافية، وموت لغة معينة هو موت ثقافة جماعة بعينها وفقد للاستمرارية، ويرى "نورتون" أنه من بين حوالي ٧٠٠٠ لغة في العالم اليوم – لا يشمل العدد اللغات الثانوية واللهجات النادرة – فإن أكثر من ١٠٠٠ لغة منها قد ذوى واندرث^٤.

وتُقسم اللغات إلى لغات عملاقة Mega languages يتحدث بكل منها أكثر من ١٠٠ مليون نسمة، وعددها ١٢ لغة عالمية، ولغات كبرى Macro languages، يتحدث بكل منها ما بين ١٠ – ١٠٠ مليون

^١ . خليل أحمد عمارة، في التحليل اللغوي، ص ٨

^٢ - Norton, W., (٢٠٠٢): Human Geography, p. ١٨٩.

^٣ - Jordan, T., (١٩٧٣): The European Cultural Area, p. ١٦

^٤ - Norton, W., (٢٠٠٢): Human Geography, p. ١٩٥.

نسمة، ثم لغات أقل أهمية عديدة^١. وتعد اللغة العربية من القسم الأول، إذ يتحدث بها حوالي ٤٠٠ مليون نسمة داخل وخارج الوطن "العربي"، بينما اللغة العبرية من القسم الثالث إذ لا يزيد عدد المتحدثين بها في داخل إسرائيل وخارجها عن خمسة ملايين نسمة.

وقد عادت العبرية بعد اندثارها نتيجة نجاح عملية التخطيط اللغوي Language planning، والتي يُطلق عليها أحياناً تعبير الهندسة اللغوية Linguistic engineering. ويضطلع بالتخطيط اللغوي عادة كيانات متخصصة، ومؤسسات، وأكاديميات وأحياناً الأفراد أنفسهم. ويرتبط التخطيط اللغوي بشدة بمفهومين متكاملين، هما السياسة اللغوية Language policy، والاتجاهات اللغوية Languages attitudes. ويُمارس التخطيط اللغوي لحل مشكلة خاصة في منطقة جغرافية تسودها لغة ما. رغم ذلك، تتعرض اللغة المختارة لمنافسة اللغات الأخرى. وليست عملية التخطيط اللغوي بالعملية السهلة، لذا يطلق عليها أحياناً المعالجة اللغوية Language treatment^٢.

ومن أمثلة التخطيط اللغوي الصارخة، أن معظم الوافدين إلى فلسطين المحتلة، كانوا يجهلون العبرية إلا أن التخطيط اللغوي عمل على جعل هذه اللغة رسمية، يرتبط بها كل من يعمل في السلطة أو الحكومة وكذا المؤسسات التعليمية والإعلامية والأعمال، وذلك مع إزاحة ما زالت مستمرة. للغة العربية.

وتنتسب العربية والعبرية لعائلة واحدة هي "اللغات السامية" Semitic Languages، وهي من أقدم اللغات التي وصلت إلينا مدونة، إذ دُوّنت الأكادية عام ٢٥٠٠ ق.م، وتضم العائلة اللغات التالية: العربية، والآكادية، والآشورية، والعبرية والمؤابية والفينيقية والآرامية، والإبلاوية، والإثيوبية والسريانية، والبابلية.

المجال الجغرافي للدراسة:

تُعنى الدراسة بمعركة اللغة في "فلسطين" والتي يُقصد بها جغرافياً. في هذا البحث: (إسرائيل، والضفة الغربية، وقطاع غزة)، أما الإطار الذي تنحصر فيه اللغة العبرية حالياً فيُشار إليه بمصطلح "الدولة العبرية" أو "إسرائيل" بمفهومها الحدودي السياسي.

أسباب اختيار الموضوع:

١. ندرة الدراسات الجغرافية التي تُعنى باللغات في المكتبة الجغرافية العربية.
٢. استمرار تنفيذ المخطط اللغوي العبري على حساب العربية.
٣. "المعركة اللغوية" بين العربية والعبرية من أشد المخاطر التي تتعرض لها العربية.

١. محمد مدحت جابر عبد الجليل، جغرافية اللغات، ص ٢٢

٢. نفس المصدر، ص ١١٧

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في إبراز الجهد الذي يبذله اليهود في إحياء العبرية، وأثره على طمس الطبوغرافية التاريخية للمكان. فمن المعروف تاريخياً أن مئات اللغات قد اندرست، ومئات أحر في سبيلها إلى الاندثار الآن، ولكن من النادر أن تحيا لغة بعد موتها.

أهداف الدراسة:

- . التحليل المكاني للغة العبرية داخل وخارج إسرائيل.
- . التحليل الرماني للغة العبرية.
- . تحليل عوامل إحياء اللغة العبرية.
- . تتبع تغيرات اللانديسكيب الحضاري في فلسطين.

الدراسات السابقة:

- ١- سُطرت دراسة شوهامي Shohamy في جغرافية اللغات عن التخطيط اللغوي في أنحاء العالم بعامة، وإسرائيل بخاصة، وعلاقة اللغة العبرية بالفكر اليهودي، والمنهجية التي اتبعتها إسرائيل في هذا التخطيط اللغوي^١.
- ٢- قدم بن رافائيل Ben-Rafael وآخرون دراسة عن المشهد اللغوي في إسرائيل، باعتباره متنامياً مع المشهد السياسي، وكيف أن المشهد اللغوي يتحرك من الدولة العبرية إلى خارجها في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية على حساب اللغة العربية، وأن العبرية لا تنطبق صورتها إلا في مرآة المستوطنات^٢. كما عرضاً لسياسة الانتشار اللغوي وملامح التعليم الوطني للغات في إسرائيل.

^١ - Shohamy, Elana., (١٩٩٤): "Issues in language planning in Israel: language and ideology." Language planning around the world: contexts and systematic change. Ed. Richard D. Lambert. Washington DC: National Foreign Language Center, ١٣١-١٤٢.

^٢ - Ben-Rafael, E., Shohamy, M., Amara, M. H., and Trumper-Hecht, N., (٢٠٠٦): "Linguistic Landscape as a Symbolic Construction of the Public Space: The Case of Israel." International Journal of Multilingualism ٣(١): ٧-٣٠.

٣- في مجال الجغرافيا التاريخية قدم ماعوز Azaryahu وأرنون Arnon دراستهما عن إعادة التسمية في خريطة اللاندسكيب، وتشكيل الخريطة العبرية في إسرائيل في أحد عشر عاما تلت إنشاء الدولة العبرية (١٩٤٩-١٩٦٠)، وقد اختار تلك الفترة لأنها التي وُضع فيها الأساس الرسمي لتغيير الأسماء إلى العبرية. كما سيظهر تفصيلا في دراستنا^١.

٤- عرضت دراسة كوهين وكليوت لتغير أسماء الأماكن في إسرائيل وعلاقته بالتغير في بناء الأمة، مع توضيح الإجراءات التي اتخذتها الحكومات المحلية والقومية لترسيخ تداول تلك الأسماء الجديدة باعتبارها مكونا قوميا، وليس مجرد أداة للتفاهم بين الناس^٢.

٥- أبرزت دراسة جمال فلاح أثر حرب عام ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل، وتداعياتها على المشهد الثقافي في فلسطين، ومن بين صور ذلك المشهد "الصورة اللغوية" وكيف أن تلك الحرب وتداعياتها العسكرية أثرت على الخريطة اللغوية في فلسطين المحتلة^٣.

٦- كانت دراسة كاتز عن ترسيخ العلاقة بين الهوية والقومية من خلال أسماء الأماكن، والجهود التي بذلها الصهاينة للحفاظ على الأسماء العبرية الأصلية المحلية في المطبوعات الرسمية في "أقضية" فلسطين، وخطة إضافة الأسماء العبرية الجديدة إليها في بقية طبوغرافية الأماكن^٤.

٧- ذكر كولويتز Koplewitz في دراسته مراحل تقلص اللغة العربية وانكماشها داخل "إسرائيل"، باعتبار أنها تحولت إلى لغة "أقلية" داخل الدولة "العبرية"، ثم ذكر مظاهر ذلك التقلص ليس من حيث ثبات نسبة المتحدثين فحسب، ولكن من حيث المفردات والتراكيب والبلاغة، ودخول الألفاظ العبرية في معجمها^٥.

^١ - Maoz Azaryahu and Arnon Golan, (٢٠٠١): (Re)naming the landscape: The formation of the Hebrew map of Israel ١٩٤٩-١٩٦٠, Journal of Historical Geography, ٢٧, ٢ (٢٠٠١)

^٢ - Cohen, S. B., and Kliot, N., (١٩٨١): Israel's place-names as reflection of continuity and change in nation-building, Sociolinguistics, New York, ٢٩, ٢٢٧-٢٤٨.

^٣ - Falah, G., (١٩٩٦): The ١٩٤٨ Israeli-Palestinian war and its aftermath: the transformation and de-signification of Palestine's cultural landscape, Annals of the Association of American Geographers ٨٦, p. ٢٥٦-٢٨٥.

^٤ - Katz, Y., (١٩٩٥): Identity, nationalism, and place names: Zionist efforts to preserve the original local Hebrew names in official publications of the mandate government of Palestine", International Journal of Multilingualism ٤٣, ١٠٣-١١٨.

^٥ - Koplewitz, I., (١٩٩٢): "Arabic in Israel: The Sociolinguistic Situation of Israel's Arab Minority." International Journal of the Sociology of Language ٩٨: ٢٩-٦٦.

٨- وقريب من فلسطين سُطرت رسالة ماجستير في الرصد اللغوي للألفاظ السريانية والعبرية في لهجة شمال الأردن، كان من أبرز نتائجها معرفة تأثير "اللغة العربية" هنالك بمفردات هاتين اللغتين، رغم اندراس أولاهما، وإعادة إحياء أخراهما، وهو يشبه الحال عن ذات اللهجة في مصر والتي تأثرت باللغة القبطية رغم اندراسها في مصر^١

المبحث الأول . التحليل المكاني للغة العبرية

العبرية Hebrew: إحدى اللغات السامية، كان يتحدث بها الكنعانيون ثم اتخذها العبرانيون (الذين كانوا يتكلمون إحدى اللهجات الآرامية القديمة) لغة لهم بعد تسللهم إلى أرض كنعان. وتُسميت هذه اللغة «عبرية» في وقت متأخر من العصور الوسطى، فلا يوجد في صحف العهد القديم ما يدل على أنهم كانوا يسمونها بهذا الاسم، إذ كان يُشار إليها بمصطلح «يهوديت» (يهودي) أو «لسان كنعان»، ولم يظهر مصطلح «لاشون عفریت»، أي «اللسان العبري»، إلا مع المشناه^٢.

ولعل عملية انتشار اللغات هو أكبر معبر عن الأبعاد الجغرافية، وخصوصاً أبعاد عملية الانتشار المعروفة في الجغرافيا البشرية، التي تأتي من منطلق فهم الأنماط التوزيعية الحالية بعد في محاولة فهم الأنماط السابقة في الماضي. كما أن معرفة الأنماط الحالية، قد يسهم في التنبؤ بأنماط المستقبل، حيث يبدو الربط بينه وبين إبداعات الإنسان Innovations عبر الزمن^٣، كما أن موضوع الانتشار من أهم مفردات الجغرافية الحضارية Cultural geography، وعماد هذه الأخيرة اللغة، والديانة. ومن ثم فاللغات من أفضل الأمثلة للدلالة على طبيعة عملية الانتشار خصوصاً في الماضي، وكيف انتشرت لكي تأخذ وضعها الحالي^٤.

ومن ثم نحلل الانتشار المكاني للغة العبرية داخل الدولة العبرية وخارجها، ولا يعد تحليلنا لانتشار العبرية خارج حدود الدولة العبرية خروجاً عن الإطار المكاني للدراسة؛ إذ أن كلا المكانين يؤثر في الآخر ويتأثر به.

أولاً . العبرية داخل إسرائيل:

أمست العبرية لغة أقلية في إسرائيل بعد دعم السياسات الأيديولوجية للغة العبرية والإنجليزية لتزدهر وتنتشر في جميع القطاعات من السكان الإسرائيليين. فالعبرية هي لغة الاتصال الاعتيادية في أماكن العمل إلا في القطاع العربي، وبين المهاجرين الجدد والعمال الأجانب، ومع السياح.

^١ . زياد عبد الله علي طلافحة، الألفاظ السريانية والعبرية في لهجة شمال الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٨٩
^٢ يتكون التلمود من نصوص مقدسة تسمى المشناه، والمشناه مجموعة من الشرائع المروية شفاهة، ومن ثم تسمى التلمود، ويُعدها اليهود المصدر الثاني للتشريع بعد التوراة.

^٣ - Afendras, E., (١٩٧٠): Diffusion Process in Language Prediction, p. ٣٣

^٤ - Kniffen, F., (١٩٥١): The American Covered Bridge, p. ١١٤

وتُصنّف إسرائيل أنّها دولة متعددة اللغات؛ إذ أنّ العبرية في إسرائيل هي اللغة الأم *mother tongue*؛ ولكن ينتشر بين يهودها العديد من اللغات الأصلية كلغة أم، وهي: الفرنسية، والرومانية، والهنگارية، والبولندية، والفارسية، والإنجليزية والأمهرية والتيجرية *Tigrinia* والأسبانية والألمانية واليديشية. كما أنّ كبار السن (٦٥ سنة فأكثر) لا يتكلمون العبرية بل العربية، كما أنّ لغة (الدروز) في إسرائيل هي العربية. واللغة المحكية بين أغلب عرب ٤٨ هي العربية التي هي لغتهم الأم.

ولما كانت اللغة العبرية غير منتشرة ولا معروفة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولا في بقية دول الجوار، ولا غيرها من الدول تحولت العبرية إلى جزيرة لغوية *linguistic Islands*، وهذا التعبير لا يُقصد به الجزر بمدلولها الجغرافي، بل وجود جماعات مركزة في مكان معين يتحدثون لغة مغايرة للأغلبية.

وارتبط انتشار العبرية في إسرائيل بزيادة عدد المستوطنات والمستوطنين؛ إذ وصل عدد السكان اليهود في فلسطين عام ١٩٢٥ إلى ١١٨ ألفاً^١. وقد ساعد هيربرت صمويل^٢ على نشر العبرية بعدة طرق من بينها الاعتراف بالمؤسسات السياسية الصهيونية في فلسطين والاعتراف باللغة العبرية كإحدى اللغات المحلية في فلسطين. وقد زاد عدد المستوطنات الصهيونية في عهده من ٤٤ إلى ١٠٠ مستوطنة^٣. ثم أصبحت العبرية اللغة الرسمية للدولة بعد إنشائها سنة ١٩٤٨، ولعل في إصرار الصهاينة على أنّ تكون لغة الدولة هي العبرية وليس الإنجليزية، أو الإسبرانتو اللغة التي طورها اليهودي الروسي زامنهوف على أمل أنّ تكون العبرية لغة عالمية ولغة يتحدث بها المستوطنون الصهيوني إدراكاً من جانبهم لطبيعة الدولة الصهيونية باعتبارها دولة وظيفية^٤.

والجدير بالذكر أنّ عبرية السفارد مختلفة عن عبرية الإشكناز^٥. وهذا يعود إلى أنّ يهود العالم العربي كانوا منذ أيام الأندلس لا يتحدثون إلا العربية، واقتصر استخدام العبرية على الكتابة الدينية المتخصصة. وقد كان لاحتكاك اليهود بالعرب أثر عميق في لغتهم، فقد ازدادت عبريتهم فصاحة بمجاورتها اللغة العربية التي تُعدُّ أرقى لغات المجموعة السامية كلها. وقد تَرَبَّ على ذلك أنّ دولة إسرائيل، التي قامت على أكتاف الإشكناز وجدت نفسها رغم كل شيء مُضطرّة إلى اعتبار عبرية السفارد هي لغة المسرح الرسمية، ولغة الإذاعة والتعليم في الجامعات والمدارس. وقد اضطر المؤلفون في

^١ - المركز الجغرافي الفلسطيني، المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص ٣

^٢ . هيربرت صمويل *Herbert Samuel* (١٨٧٠-١٩٦٣): أول مندوب سام بريطاني في فلسطين عام ١٩٢٠

^٣ . عمران أبو صبيح، دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، ص ٢٦

^٤ . فواز الشرقاوي، تكوين السكان اليهود في فلسطين قبل سنة ١٩٤٨، ص ٤٠

^٥ . اليهود الأشكناز: هم اليهود الذين ترجع أصولهم إلى أوروبا الشرقية، أما اليهود السفارد: فينحدرون من اليهود الذين أخرجوا من إسبانيا والبرتغال في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ثم استقروا في منطقة حوض البحر المتوسط والبلقان وبعض المناطق الأخرى. أما اليهود المزراحيون فهم يهود الشرق الأوسط.

الأدب العبري الحديث والعاملون في مجال الدراسات اللغوية . حتى وإن كانوا من الإشكناز . إلى الخضوع المطلق للسان السفارد.^١

ثانيا . العبرية خارج إسرائيل :

لا تزال العبرية لغة القلة من اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل، إذ يتحدث أعضاء الجماعات اليهودية لغة أوطانهم، فيتحدث أكثر من عشرة ملايين يهودي الإنجليزية، ويتحدث مليونان الروسية وعدة آلاف يتحدث اليديشية (لكن عددهم أخذ في التناقص بسرعة)، وأكثر من مليون ونصف المليون يتحدثون لغات أخرى مثل الفرنسية أو الإسبانية أو البرتغالية. ويبدو أن لغة الغالبية العديدة من أعضاء الجماعات اليهودية في العالم هي الإنجليزية، كما أن معظم الإسرائيليين يعرفونها. ويفضل كثير من العلماء الإسرائيليين نشر أبحاثهم بالإنجليزية حتى يكون لهم جمهور واسع من القراء. وتوجد جماعات صغيرة من المتحدثين بالعبرية في أنحاء العالم (الولايات المتحدة وألمانيا) من النازحين من إسرائيل.

يشتهر في الدراسات الجغرافية ما يُعرف بنموذج الجاذبية Gravity Model. ونستطيع تطبيقه على اللغات، ومعناه أن اللغة يقل انتشارها ويتضاءل تفاعلها بطول المسافة والابتعاد عن المركز. والعجيب في اللغة العبرية أنها لا يقل انتشارها خارج المركز بل تنعدم. (رغم أنه من الأساطير المعروفة أن أرض أمريكا كان يُشار إليها بوصفها صهيون الجديدة، وكان المستوطنون يشيرون إلى أنفسهم بأنهم أبناء العهد فاقتراح أحدهم . لدى التفكير في اختيار لغة للولايات المتحدة بعد استقلالها . أن تكون العبرية لغة الدولة الجديدة)^٢!! . ولكن خصائص العبرية وخصائص منسوبها لم تؤهلها لذلك، بل إن لغة يهود العالم الأساسية الآن هي الإنجليزية؛ إذ يتحدث بها يهود الولايات المتحدة وكندا وإنجلترا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا، وهؤلاء يشكلون الأغلبية العظمى من يهود العالم (وهذا يعود إلى ارتباط الجماعات اليهودية في العصر الحديث بالتشكيل الاستعماري الاستيطاني الغربي بشكل عام، والأنجلو ساكسوني بشكل خاص). ويُقال إن تعدد لغات الجماعات اليهودية في شرق أوروبا كان سبباً أساسياً في أزمة الهوية التي جابهوها؛ فقد كانت لغتهم المقدسة هي العبرية، ولغتهم القانونية هي الآرامية (لغة التلمود)، ولغة الحديث هي اليديشية، ولغة المثل الأعلى الاندماجي هي الألمانية أو البولندية أو الروسية وأحياناً الأوكرانية، ولغة المثل الأعلى الصهيوني هي العبرية كلغة حديث لا كلغة عبادة. وتظل الصورة اللغوية العامة بالنسبة لأعضاء الجماعات اليهودية في العالم أنهم يتحدثون لغة الموطن الذي يعيشون في كنفه، وليست العبرية أو اليديشية^٣.

ورغم اندراس اللغة العبرية خارج إسرائيل؛ فإنها تحاول نشرها ولو نظريا بتدريس الأدب العبري في بعض الكليات في العالم، ومثال ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تضم ٣٥٠ جامعة بها أقسام للدراسات العبرية واليهودية. وقد

^١ - Ben-Rafael, E., (٢٠٠٦): "Linguistic Landscape, p. ٢٢

^٢ . جروفز جودي، وماهراجون، اللغة والسياسة، ص ٤٢

^٣ - Bernard S., (٢٠٠٥): National Profiles Of Languages, p. ١٧

تأسست عام ١٩٨١ منظمة خدمة التعليم اليهودي لأمريكا الشمالية Jewish Education Service of North America. وهي أساساً جهة استشارية تساهم في التخطيط بعيد المدى للتعليم الخاص باليهود وفي دعم الموارد المخصصة له. كما تُوجد في الولايات المتحدة مؤسسات ثقافية اجتماعية وشبابية يهودية تعمل على تعليم اللغة العبرية وعلى ما يُسمّى «الثقافة اليهودية».

وإذا كان هذا هو حال العبرية التي تتركز في إسرائيل على حساب "العربية"؛ فإن تحليلاً بسيطاً لانتشار العبرية يوضح لنا الفرق بين كل منهما. فالعبرية موطنها الأول شبه الجزيرة العربية التي خرجت منها موجات الانتشار Diffusion Waves، فلم تصل اللغة العربية إلى أجزاء واسعة من آسيا وأوروبا فقط؛ بل عبرت البحر المتوسط لتستقر في أنحاء عديدة من جنوب غرب أوروبا، وبعض جزر البحر المتوسط مثل قبرص، ووصلت إلى جنوب آسيا وجزر المحيط الهندي، وأرخبيل الجزر الإندونيسية. وهكذا انتشرت اللغة العربية من نطاقها الأصلي Heartland في شبه الجزيرة العربية في كافة الاتجاهات منذ القرن السابع الميلادي.

وحتى الآن يوجد عشرات الملايين من العرب في كافة القارات خارج "الوطن العربي"، بل لقد غزت الكلمات العربية كثيراً من اللغات الأوروبية لاسيما الأسبانية. إضافة إلى أثر اللغة العربية الواضح اليوم في العديد من أسماء الأماكن في أوروبا، خصوصاً في شبه جزيرة أيبيريا.

ولقد صمدت "العربية" لكل حملات القضاء عليها سواء حملة التتار أو حملات الصليبيين، أو الأتراك على العالم العربي، وإن كانت بحكم هذه الظروف القاسية والمعارك المستمرة قد انحسرت عن أجزاء من العالم الإسلامي كالهند وفارس وتركيا واستقرت في العالم العربي ولكنها بقيت دائماً كما عرّفها جرجي زيدان^١: "إحدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقاً وتركيباً وهي أرقى لغات العالم". ولا تزال اللغة الفارسية في إيران تكتب بالحروف العربية ولم تجرد محاولات المستشرقين أذنناً صاغية في إيران لكتابة الفارسية بحروف لاتينية بدلاً من الأبجدية العربية. ونشطت الدعوة إلى اللغة العربية في شبه القارة الهندية فأنشئت الجمعيات والمدارس وظهرت المعاجم العربية والأردية. ويوجد بباكستان والهند عدد كبير يجيد العربية ويستخدمها في الخطابة ويعرف أشعارها ويؤلف الكتب بها في الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك، بل ويدعوا كثير من المفكرين في باكستان إلى اتخاذ اللغة العربية لغة قومية لباكستان باعتبارها لغة الدين الذي يدينون له بالولاء. وعلى النقيض من ذلك نرى تركيا منذ انقلاب أتاتورك في عام ١٩٢٣ قد تخلصت من كل أثر للغة العربية في لغتها الطورانية وكتبت لغتها القومية بحروف لاتينية.

ويردد كارل بروكلمان قولاً أرنست رينان: "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب فهمه انتشار العربية. إذ أن هذه اللغة كانت مجهولة في البداية وبدأت تكتمل للغاية فجأة بسلاسة وغنى ظاهرين"، كما وصفها أيضاً بالكمال وبأنها ظهرت تامة مستحكمة. واستطرد يقول: "إنه لم يمض على فتح العرب للأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال

^١. جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، ص ٢٣.

الكنيسة لترجمة صلواتهم بالعربية ليفهمها أتباع المسيح". كما يردد قول مارجليوث: "اللغة العربية حياتها حقيقية، وهي إحدى لغات ثلاث سادت العالم الإنجليزية والإسبانية والعربية وتربو عليهما لأن بدايتها أقدم من كل تاريخ"^١.

المبحث الثاني . التحليل الزمني للغة العبرية

إذا كانت العبرية قد اختفت قرابة ألفي عام؛ فإنه حين ظهورها المعاصر لم تظهر مرة واحدة، ولكنها ورثت لغة أخرى ارتبطت باليهود ألا وهي اللغة اليديشية.

أولاً . اللغة اليديشية:

اللغة اليديشية Yiddish لغة اليهود الإشكناز، ظهرت في الفترة بين عامي ١٠٠٠ و ١٣٥٠، وهي رطانة ألمانية، دخلت عليها كلمات من السلافية والعبرية وغيرهما بعد أن نقلها اليهود معهم إلى بولندا، وكانوا يكتبونها بالحروف العبرية. لكن هذه اللغة ظلت مقصورة على الأمور التجارية. وقد جرّمت جميع الحكومات التي اعتقت اليهود سياسياً استخدام اليديشية في الأعمال التجارية لأنها أصبحت لغة الغش التجاري والتهريب، حيث أن التجار اليهود استفادوا من معرفتهم باليديشية وجعل الآخريين. وكان فرايدلندر (الزعيم الألماني اليهودي الإصلاحية) يؤكد أن اللغة اليديشية هي المسؤولة عن فساد الدين والأخلاق بين اليهود. ولما كان كثير من القوادين العاملين في تجارة الرقيق الأبيض في أوروبا (بل وفي العالم) في الفترة من ١٨٨٠ حتى عام ١٩٣٠ من اليهود الذين أتوا من منطقة الاستيطان في روسيا (التي كانت تُعدُّ أكبر مصدر للبغايا في العالم) فإن اليديشية كانت من أهم اللغات التي تُدار بها هذه التجارة في تلك الفترة، إلى أن قضى البوليس الدولي بمساعدة أعضاء الجماعات اليهودية عليها، وحرّمت الحكومات على اليهود استخدامها.

ولم تزدهر اليديشية كلغة أدبية في أوروبا والاتحاد السوفيتي إلا أواخر القرن التاسع عشر، فظهر أدب اليديشية، ولكن، لم يُقدَّر لهذه المرحلة أن تستمر طويلاً، فقيام الثورة البلشفية انصرف اليهود عن إرسال أطفالهم إلى المدارس التي تُعلِّم اليديشية. وانخفض عدد المتحدثين بها في الاتحاد السوفيتي من نحو ٩٧% مع نهاية القرن التاسع عشر إلى ١٩% من أعضاء الجماعات اليهودية في الوقت الحاضر ومعظمهم من المسنين. وقد اختفت اليديشية تقريباً في الولايات المتحدة^٢.

وفي إحصاء عام ١٨٩٧ الذي أجرته الإمبراطورية الروسية، بلغ عدد أعضاء الجماعات اليهودية في روسيا من الناطقين باليديشية نحو ٩٧% من جملة يهود روسيا، أي ٥,٠٥٤,٣٠٠ (٤,٢%) من مجموع سكان الإمبراطورية). وبلغ عددهم في منطقة الاستيطان ٤,٨٨٩,٤٢٧ مُشكِّلين نسبة ١١,٦% من مجموع سكان المنطقة البالغ عددهم ٤٢,٣٣٨,٥٦٧ أما عدد أعضاء الجماعات اليهودية الذين كانوا لا يتحدثون اليديشية، فكان لا يتجاوز ١٦١,٥٠٠. ولم يكن الوضع مختلفاً كثيراً بالنسبة إلى يهود بولندا. وقد كانت هذه الكتلة الضخمة في روسيا وبولندا، هي التي تُصدَّر

^١ .كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٥

^٢ . جروفز جودي، وماهوجون، اللغة والسياسة، ص ٢٢

اليهود المتحدثين باليديشية، إذ كان يحملونها المهاجرون معهم من شرق أوروبا ويكوّنون جيوباً تتحدث بها. وكانت ألمانيا، المجاورة لجاليشيا وبولندا، الممر بين الجيب الروسي البولندي اليديشي من جهة وبقية العالم من جهة أخرى، ولذا كانت تستوطن فيها أعداد كبيرة منهم. ولكن أكبر كتلة يهودية يديشية مهاجرة كانت قد انتقلت إلى الولايات المتحدة التي أصبحت في أواخر القرن التاسع عشر المركز الثاني لليديشية في العالم.

كان يوجد في الولايات المتحدة أحد عشر مسرحاً يديشياً في نيويورك وسبعة عشر مسرحاً خارجها. وكانت الجرائد اليديشية توزع ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ ألف نسخة يومياً. والشيء نفسه في الاتحاد السوفيتي، إذ بدأ يظهر أيضاً إحساس بالهوية اليديشية. وقد اعترف الاتحاد السوفيتي باليديشية كلغة رسمية، وأصبحت إحدى اللغات المعترف بها في المحاكم وتدار بها الجلسات، ولا تزال اللغة الرسمية في بروبوجان. وقد وصل النظام التعليمي باليديشية إلى قمته في هذه الفترة، في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، فكان عدد الطلبة المسجلين في المدارس اليديشية اثني عشر ألفاً في الولايات المتحدة. أما في الاتحاد السوفيتي، فتم تأسيس شبكة من المدارس الابتدائية والثانوية يتم التدريس فيها باللغة اليديشية، كما أُسست كليات تربوية لإعداد مدرسين لليديشية. وقد وصلت نسبة عدد اليهود الذين التحقوا بهذه المدارس ٥١% من مجموع الطلاب اليهود عام ١٩٢٦، وأُسست كلية لدراسة الثقافة اليديشية.

وبعد نهاية العشرينيات مباشرة، بدأ الاضمحلال والذبول يبدان في جسد اليديشية في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، ولكن لأسباب مختلفة. ففي الولايات المتحدة، كانت اليديشية تُعتبر لغة منقولة من بيئة قديمة، ولم يكن لها أساس اقتصادي أو حضاري في البيئة الجديدة، وبالتالي لم يكن لها مستقبل. وفي منتصف العشرينيات مع توقّف الهجرة، أخذت اليديشية في الاضمحلال السريع. وأخذ أبناء المهاجرين (كما هو متوقّع) يتعلمون الإنجليزية، وبدأت المدارس اليديشية تفرغ من طلبتها. وتدار جلسات معهد ييفو (معهد البحوث اليديشية) في الوقت الحالي باللغة الإنجليزية، كما أنه في حاجة دائمة إلى الدعم المالي الذي تحجبه عنه المؤسسات الصهيونية وهو غير قادر على الاستمرار بدون المعونات التي يحصل عليها من الحكومة الأمريكية. وتوجد الآن جريدة يديشية واحدة في الولايات المتحدة تعيش على المعونات وتصدّر ثلاث مرات أسبوعياً، وثلاث مجلات توزع اثنين وعشرين ألف نسخة، (قُرأ هذه الجرائد والمجلات من المسنين).

أما في الاتحاد السوفيتي، فمع تزايد معدلات التحديث في المجتمع وإتاحة فرص الحراك الاجتماعي، بدأ اليهود ينصرفون عن اليديشية، وأخذت أعداد الطلبة اليهود في المدارس اليديشية في التناقص فوصلت عام ١٩٣١ إلى ٣٣% من مجموع الطلبة اليهود في المدارس الروسية، ثم إلى ٢٠% عام ١٩٣٩. وتكاد النسبة تنعدم الآن، ولذا أُغلقت الغالبية الساحقة من المدارس اليديشية.

وقد انصرف الكُتّاب اليهود الروس والأمريكيون عن الكتابة باليديشية، وآثرت أعداد متزايدة منهم الكتابة بالروسية أو الإنجليزية، كما قام بعضهم بترجمة الأعمال التي كتبها باليديشية إلى الإنجليزية. وهذا لا يعود فقط إلى معدلات التحديث العالية، ولكنه يرجع أيضاً إلى أن اليديشية ليس لها تاريخ حقيقي. كما أنها لا تملك تراثاً أدبياً ثرياً،

الأمر الذي يجعل الإبداع الأدبي من خلالها أمراً صعباً. وهذا يُفسّر تلك الظاهرة التي تبعث على الدهشة، ظاهرة قلة الكلمات اليديشية (معظمها ألماني) التي دخلت اللغة الإنجليزية مع أن ملايين اليهود كانوا يتحدثون هذه اللغة. ومن العناصر الأساسية المشتركة التي أدّت إلى اختفاء اليديشية، في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، تغيير وضع اليهود الوظيفي ودخولهم مجالات المهن الحرة بأعداد متزايدة، الأمر الذي كان يتطلب ابتعادهم عن مراكز الثقافة ذات الطابع اليهودي التقليدي، وهو ما أدّى إلى انزواء ما تبقى من ثقافة يديشية منعزلة.

وفي الوقت الحالي، لا يوجد سوى بضعة آلاف في الولايات المتحدة يتحدثون اليديشية، أغلبيتهم من كبار السن. أما في الاتحاد السوفيتي، فعدد اليهود الذين صرحوا (في السبعينيات) بأن الروسية هي لغتهم نحو ٨٦,٧%، في حين توزّع ١٧,٧% بين مختلف اللغات، وهو ما يعني أن عدد المتحدثين باليديشية قد لا يزيد على ١٠%، معظمهم من المتقدمين في السن ويسكنون المناطق الغربية (ليتوانيا ولاتفيا ومولدافيا). وقد اختفت اليديشية تقريباً في جنوب أفريقيا، وقد اختفت اليديشية دون اضطهاد، بل لم يعرّها المجتمع أي التفات، لا تشجيعاً ولا اضطهاداً، وماتت من تلقاء نفسها. ويمكن القول بأن الحركة الصهيونية أسهمت بشكل فعال في الإسراع بعملية موت اليديشية، فمنذ البداية ناصب الصهاينة اللغة اليديشية العدا على اعتبار أنّها لغة المنفى، وطرحوا بدلاً منها اللغة العبرية.

ويلاحظ أن اليديشية مازالت مستخدمة داخل بعض المنازل في إسرائيل، ويتعلمها الشباب سماعياً، ولكنهم لا يقرءونها ولا يكتبون بها. وتصدّر في إسرائيل عدة صحف ومجلات باليديشية، ولا يزال هناك أدباء يكتبون بها في كلٍّ من إسرائيل والولايات المتحدة، بعضهم صهيوني والبعض الآخر إما معاد لها أو غير مكترث بها^١.

ثانياً. العبرية قبل القرن التاسع عشر:

تُعد أسفار موسى الخمسة أقدم النماذج الأدبية العبرية التي يدل أسلوبها وبنائها على تأثرها بالتشكيلات الحضارية المجاورة: البابلية والكنعانية والمصرية... إلخ، وجاء بعدها من الناحية التاريخية كتب الحكمة مثل سفر الأمثال وأيوب وسفر الجامعة، والأشعار الدينية مثل المزامير والمرثي، وأشعار الحب والغزل مثل نشيد الإنشاد^٢.

يقول أ.د. حسن ظاظا. أستاذ اللغة العبرية: ولم يتحدث اليهود اللغة التي تُعرف بالعبرية إلا لفترة قصيرة للغاية، فلغة الآباء (إبراهيم وإسحق ويعقوب) (٢١٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) كانت لهجة سامية قريبة من العربية أو الآرامية، أما العبرية فكانت لهجة من اللهجات الكنعانية ولم يتخذها اليهود لساناً لهم إلا بعد إقامتهم في كنعان (ابتداءً من ١٢٥٠ ق.م). ويبدو أن العبرية قد اختفت بوصفها لغة الحديث بين اليهود مع التهجير البابلي (٥٦٧ ق.م)، وحلت الآرامية محلها^٣.

^١ - Crystal, D., (١٩٩٩): The penguin dictionary of Language, p ٣٧٠.

^٢ . خليل أحمد عمارة، في التحليل اللغوي، ص ٥٣

^٣ . حسن ظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ص ١١.

ورغم بقاء بعض اليهود في فلسطين يتحدثون العبرية، إلا أن الآرامية حلت تماماً محل العبرية نحو عام ٢٥٠ ق.م. أما اللغات التي كان يستخدمها أعضاء الجماعات اليهودية في تعاملهم مع الآخرين بعد انتشارهم في العالم، فكانت في معظم الأحيان لغة الوطن الذي استقروا فيه وانبثقوا إليه، أو إحدى اللغات الدولية السائدة. فكان يهود بابل يتحدثون الآرامية، لغة التجارة الدولية والإدارة في الشرق الأدنى القديم. وكان يهود الإسكندرية في العصر الهيليني يتحدثون اليونانية، كما أن يهود فلسطين كانوا يتكلمون إما الآرامية أو اليونانية. وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية، كان يهود الإمبراطورية الشرقية يتحدثون لغة هذه الإمبراطورية، أي اليونانية التي ظلوا يتحدثون بها حتى الفتح العثماني. أما يهود الإمبراطورية الغربية وأفريقيا وغرب أوروبا، فكانوا يتحدثون اللاتينية. وبعض يهود الإمبراطورية الإيرانية كانوا يتحدثون باللهجات الفارسية المختلفة، وكان يهود العالم العربي يتحدثون العربية ويكتبون بها^١.

أما بالنسبة إلى الكتابات التي تقع خارج نطاق التفكير الديني من أدب وفلسفة وعلم، والتي قام بوضعها مؤلفون يهود، وهم قلة نادرة حتى القرن التاسع عشر، فقد كانت اللغة منذ البداية لغة الوطن الأم لكل منهم. ففيلون السكندري وضع مؤلفاته باليونانية، وموسى بن ميمون كان يستخدم العبرية، وكذلك معظم الشعراء اليهود في الأندلس. بل إن معظم كلاسيكيات الفكر الصهيوني كُتبت بالألمانية أو الإنجليزية. وكان هرتزل لا يعرف العبرية ولا أبجديتها، ولم يكن هرتزل يتصوّر أن تكون العبرية هي لغة الوطن القومي الذي يقترحه، إذ كان يرى أن كل مستوطن يهودي سيتحدث بلغته. وقد نشبت في السنين الأولى من الاستيطان حرب سُمّيت «معركة اللغة» بين دعاة استخدام الألمانية من أتباع الاستعمار الألماني ودعاة استخدام العبرية من يهود شرق أوروبا التابعين للاستعمار الإنجليزي^٢.

وفي القرن الثامن عشر ظهرت بوادر جيدة لإحياء العبرية، ومن ذلك كتابات: نفتالي فيسيلي (١٧٢٥-١٨٠٥) Naphtali Wessely، ودانيال إيتزيج (١٧٣٣-١٧٩٩) Daniel Itzig، وهرتز هومبرج (١٧٤٩-١٨٤١) Herz Homberg، وأيزيك لفسون (١٧٨٨-١٨٦٠) Isaac Levinsohn، وأغلبهم من روسيا وألمانيا^٣.

ثالثاً. العبرية في القرن التاسع عشر:

يُعد إيلعازر بن يهودا (١٨٥٧-١٩٢٢) Eliezer Ben Yehuda رائد حركة إحياء اللغة العبرية الحديثة، إذ أسس جمعية صهيونية دعت إلى إحياء اللغة العبرية وبناء أدب عبري حديث وغرس الروح القومية في الشباب. وفي عام ١٨٨٤، أسس مجلة هاتسفي الأسبوعية والتي أصبحت فيما بعد جريدة يومية. وقد انصبت معظم جهوده على إحياء اللغة العبرية، فَبَحَث في أدب العبرية الكلاسيكي عن الألفاظ التي تصلح للاستعمال في الحياة اليومية في العصر الحديث، وقام باشتقاق كلمات عبرية جديدة واستعار بعض الألفاظ والعبارات من اللغة العبرية وقام بتطوير أسلوب عبري جديد

^١ - Hallel, M., (١٩٩٣): The teaching of additional languages, p. ٣٧.

^٢ . طلال ناجي، الاستيطان الصهيوني، ص ٣٨

^٣ - Fishman, J. A., (١٩٧٢): Language and Nationalism, p. ٦٢.

وبسيط. وحارب اللغة اليديشية، والألمانية كلغة رسمية للمستوطنين الصهاينة، وأهم أعماله المعجم العبري القدم والمعجم الحديث بعد أن ظل يعمل فيهما زهاء أربعين عاماً.

وقد تعددت مظاهر إحياء العبرية خلال هذا القرن فيما يلي:

١. تأسيس الجمعيات الثقافية:

أ. جمعية تنمية الثقافة بين يهود روسيا:

أسست هذه الجمعية عام ١٨٥٩ بهدف تنمية الثقافة بين يهود روسيا ودعم المؤلفين والعلماء والطلبة اليهود، بإصدار الكتب والترجمات والدوريات باللغتين الروسية والعبرية. ورفض استخدام اليديشية، مع أن غالبية الجماهير اليهودية في روسيا لم تكن تعرف العبرية، فقد كانت لغة ميتة تقتصر معرفتها على الأرستقراطية الدينية من كبار الحاخامات وخرجي المدارس التلمودية العليا (يشيفا).

وقامت الجمعية أيضاً بدعم الدوريات العبرية، وهي دوريات كانت مهتمة بشكل خاص بالعلوم الطبيعية وبالتاريخ والسير الذاتية اليهودية.

وشهدت التسعينيات من القرن التاسع عشر بعض التجديدات في الجمعية حيث انضم إليها عدد من الشباب المتعلم والمثقف الذي جاء بأفكار ومشاريع جديدة. فقامت الجمعية عام ١٨٩١ بتأسيس لجنة تاريخية للبحث في تاريخ الجماعة اليهودية في روسيا. وتحوّلت هذه اللجنة عام ١٩٠٨ إلى الجمعية التاريخية والإثنوغرافية اليهودية. وفي عام ١٨٩٤، تأسست لجنة للتعليم الشعبي اهتمت بالمدارس اليهودية، خصوصاً تلك التي تضم مناهج عبرية. كما اهتمت بتدريب معلمي العبرية، فانعقد مؤتمر للمعلمين عام ١٩٠٣ في روسيا البيضاء^٢.

ب. جمعية اللغة العبرية في فلسطين:

أسس بن يهودا Eliezer Ben Yehuda جمعية اللغة العبرية عام ١٨٨٩ وعمل رئيساً لها حتى وفاته. وتحولت هذه الجمعية عام ١٩٥٣ إلى أكاديمية اللغة العبرية التي قامت بإكمال مشروع بن يهودا وأصدرت المعجم كاملاً (سبعة عشر جزءاً) عام ١٩٥٩. وبعد سقوط فلسطين تحت الاحتلال البريطاني في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حث بن يهودا المندوب السامي البريطاني على إعلان اللغة العبرية كواحدة من اللغات الثلاث الرسمية في البلاد. كما قام بتأسيس جمعية سيفاتينو لنشر اللغة العبرية واحتل منصب أمين لجنة التخطيط في الجامعة العبرية^٣.

٢. ازدهار حركة الترجمة:

^١ - Hirschfeld, H., (١٩٢٦): Literary history of Hebrew grammarians, p. ٥٤

^٢ . حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص ٢١

^٣ - Shohamy, E., (١٩٩٤): "Issues in language planning in Israel, p. ٤١.

ازدهرت الترجمة من وإلى العبرية، إلى كافة لغات الدول التي يعيش اليهود فيها، وبخاصة الروسية والألمانية ثم الإنجليزية بعد ذلك، ومثال تلك الترجمة أن صموئيل لوتساتو (١٨٠٠-١٨٦٥) Samuel Luzzatto ترجم أسفار موسى الخمسة والصلوات العبرية إلى الإيطالية، وكتب العديد من الكتيبات بالإيطالية والعبرية عن النحو والفلسفة والدراسات اللاهوتية. وقد كان يرى أن العبرية ليست لغة مقدّسة وحسب وإنما لغة قومية أيضاً، وكذا الكتاب المقدّس، فهو كتاب مقدّس وكتاب قومي^١.

٣. تأسيس الصحف:

لما كانت الصحف وسيلة إعلامية جيدة تخاطب المثقفين؛ فقد تزايد إصدار الصحف بالعبرية، وبخاصة مع عدم معارضة الدول التي يعيش فيها اليهود، فقد أصدر ألبير موصيري (١٨٦٧-١٩٣٣) جريدة أسبوعية في القاهرة بعنوان إسرائيل صدرت في البداية بالعبرية فقط ثم بالعربية والفرنسية. واستمرت زوجته في إصدار الجريدة بعد وفاته^٢.

كما ظهرت أول جريدة يومية تصدّر بالعبرية في روسيا عام ١٨٨٦ على يد اليهودي الروسي جوليوس مارتوف (١٨٧٣-١٩٢٣) Julius Martov، وكان ديفيد فريشمان (١٨٥٩-١٩٢٢) David Frischman، مساعداً لرئيس تحريرها، فكتب سلسلة من المقالات تعني بالحياة اليومية والحياة الأدبية للكُتّاب اليهود، وهي تعتبر تطوراً لفن المقال في أدب العبرية. وعمل فريشمان، كذلك، مساعداً لرئيس تحرير الجريدة اليديشية هاينت في وارسو (منذ عام ١٩٠٨)، ونشر فيها قصائد وقصصاً باليديشية. وقام بإدخال القيم الأدبية الغربية على الأدب المكتوب بالعبرية وحرّر الرواية المكتوبة بالعبرية من الحكمة المفتعلة التي تسم روايات فترة التنوير^٣.

وقد عملت تلك الصحف على استقطاب كل من يكتب بالعبرية في روسيا وخارجها، من أمثال الشاعر اليهودي الروسي شاؤول تشرنخوفسكي (١٨٧٥-١٩٤٣) Saul Tschernohvsky، الذي يُعدُّ هو وبياليك قطبي الأدب المكتوب بالعبرية في روسيا^٤.

٤. تأليف القصص والروايات:

ظهرت أول رواية باللغة العبرية على يد أبراهام مابو (١٨٠٨-١٨٦٧) Abraham Mapu، وهو روائي يكتب بالعبرية، وُلد في كوفنو (ليتوانيا)، وتلقّى تعليماً دينياً تقليدياً. ولكنه اهتم، إلى جانب ذلك، بدراسة اللغات اللاتينية والفرنسية والألمانية والروسية، وقد بدأ حياته الأدبية برواية محبة صهيون التي استغرقت كتابتها ما يقرب من عشرين عاماً. وعند

^١ . حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص ٦

^٢ . عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٦/٣٩١)

^٣ - Hirschfeld, H., (١٩٢٦): Literary history of Hebrew grammarians, p. ٦٦

^٤ - Shohamy, E., (١٩٩٤): "Issues in language planning in Israel, p. ١٤١.

نشرها عام ١٨٥٣ حظيت بنجاح كبير حيث تُعدُّ أول رواية باللغة العبرية، وإليها يرجع الفضل في المكانة الأدبية الرفيعة التي تبوأها صاحبها كمؤسس للفن الروائي في الأدب الحديث المكتوب بالعبرية^١.

أما ميخا بيرديشفسكي (١٨٦٥-١٩٢١) Micha Berdyczewsky فهو كاتب روسي ومفكر صهيوني رومانتيكي، كتب كثيراً من المقالات النقدية والقصص القصيرة والطويلة العبرية واليديشية. وكتب أكثر من ١٥٠ قصة بالعبرية، كما كتب بعض القصص باليديشية.

رابعاً. العبرية في القرن العشرين:

شهد القرن العشرين تأسيس الدولة العبرية عام ١٩٤٨، والذي يُعد تدشيناً رسمياً لهذه اللغة، ومن ثم فإننا نقسم تطور انتشار اللغة خلال هذا القرن إلى فترتين كما يلي:

١. خريطة العبرية قبل تأسيس الدولة:

ارتبط انتشار العبرية في فلسطين. في هذه الفترة. ببناء المستوطنات، والتي تأسست في إطار أنشطة الاستيطان الصهيوني *Zionist settlement*، وكان تنظيمها مركزياً من قبل لجنة خاصة أنشأت في يوليو من عام ١٩٢٥ وتوقف عملها في مارس ١٩٥١، وكانت أسماء المستوطنات اليهودية التي تأسست حديثاً تحمل أسماء ذات دلالات توراتية وتلمودية أو صهيونية أو زعامات سياسية، فاختلط التاريخ اليهودي مع الذاكرة الصهيونية مع الجغرافيا للإحياء الصهيوني *Zionist revival*. وخلال ٢٦ سنة من عملها حددت اللجنة أسماء ٤١٥ مستوطنة تأسست حديثاً، تحمل دلالات تاريخية، وتذكارية وأسماء رمزية^٢. وقد أعلنت العبرية كلغة رسمية في فلسطين تحت الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٢، جنباً إلى جنب مع اللغة العربية والإنجليزية^٣. ووضعت أسماء الأماكن العبرية في المنشورات الرسمية للحكومة جنباً إلى جنب مع اللغة العربية أو الإنجليزية، حتى أثبتت العبرية وضعها على قدم المساواة مع اللغة العربية والإنجليزية^٤.

وفي أربعينيات القرن العشرين وضع الانتداب البريطاني خرائط بمقياس رسم ١:١٠٠٠٠٠٠، بغرض المسح الشامل لفلسطين، وكانت أسماء المعالم الجغرافية لفلسطين تحت الانتداب البريطاني تُكتب على الخريطة بأسمائها العربية ولكن بحروف إنجليزية، فبلغت جملة الأسماء العربية ٣٧٠٠ معلماً، إضافة إلى ١٧٤ اسماً بالعبرية كما وردت في الكتاب المقدس، على سبيل المثال القدس والخليل، تكتبان هكذا: (Al-Quds and Al-Halil)، بينما تكتبان في الإصدارات العبرية هكذا: (Yerushalaim and Hevron).

^١. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٣٨٤/٧)

^٢ - Maoz Azaryahu, (٢٠٠١): (Re)naming the landscape, p. ١٨٨

^٣ S- Saulson, S. B., (١٩٧٩): Institutionalized Language Planning, p. ٦٥.

^٤ - Katz, Y., (١٩٩٥): Identity, nationalism, and place names, p. ١١٣.

ومن وجهة نظر السكان العرب المحليين أن هذه الأسماء العربية بديهية **self-evident**، وسمة من سمات الحياة، أما من وجهة النظر اليهودية فإن أسباب هذا التغيير لا تُحصى، وبخاصة بالنسبة للمهاجرين اليهود الجدد، حيث إعادة بناء العقلية العبرية.

وعلى النقيض من هذه المفاهيم السائدة، برز موقف يهودي مناقض ومعارض لتغيير الأسماء، ذلك لأن اللغة العربية مهيمنة بالفعل على الطبيعة الجغرافية المحلية **local landscape**، والتبديل إلى العبرية يشكل تنافرا معرفيا، فأسماء الأماكن بالعبرية يعد شاذًا بالنسبة لليهود الذين ولدوا وترعرعوا في تلك الأماكن في فلسطين؛ إذ عرفوا طولها وعرضها وطرقاتها، وجبالها ووديانها ومروجها وأنهارها بعيدا عن العبرية^١.

وتبلغ جملة المعالم ذات الدلالات في علم أسماء الأماكن **Toponymy** ١٧٤ معلما فقط، وهي التي ذكرت على وجه التحديد في العهد القديم ومصادر الجغرافيا التاريخية لليهود في وقت لاحق، وفي القرن التاسع عشر بدأ التحقيق في أسماء هذه الأماكن في الأراضي المقدسة وتحديد هويتها التاريخية بشكل علمي، وزاد الاهتمام بموضوع الدراسات التاريخية واللغوية، والجغرافية والأثرية، وتم وضع خرائط موثوق بها لتوسيع معارف الجغرافيا التاريخية؛ فتم تحديد أسماء الأماكن التوراتية والحديثة المعاصرة^٢.

وكان للاستمرارية في تبديل اللغتين دور فعال في إعادة بناء خريطة اللغة العبرية في فلسطين من منظور صهيوني، حيث أقرت هذه النظرية العبرية أسماء المواقع الجغرافية كمكون من الجغرافيا التاريخية لفلسطين، كما أقرت (الشرعية اللغوية) (**legitimacy linguistic**) كآلية لاسترداد الأسماء العبرية السابقة لكل تلك الأماكن. ومن هنا بدأ استكشاف الجغرافيا التاريخية لفلسطين اليهودية بطريقة رسمية، حتى قبل تأسيس دولة إسرائيل، وما زالت دراسة أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين مستمرة حتى الآن، لمحاولة إثبات حقوق تاريخية.

٢ . خريطة العبرية بعد تأسيس الدولة:

تأسست الدولة في مارس ١٩٤٨، وفي يوليو ١٩٤٩ تأسست اللجنة الحكومية لعلم أنساب الأسماء **The genealogy of the Governmental Names Commission** لتكون مخولة رسميا بوضع منهج خالص لتعميم اللغة الوطنية في خريطة الدولة الجديدة، وشرح رئيس الدولة بن غوريون بنفسه أعضاء اللجنة لتقوم بمهمة "تحديد الأسماء العبرية في جميع الأماكن، والجبال والوديان والينابيع والطرق وما شابه ذلك في منطقة النقب"، أي النصف الجنوبي من إسرائيل، ثم اقترح توسيع مجال عمل لجنة النقب ليشمل بقية أنحاء الدولة، والتي كان من مهامها إدراج أسماء المستوطنات القائمة والمقترحة مستقبلا^٣. وشملت قائمة أعضاء اللجنة: خبراء بارزين في مجالات الجغرافيا ورسم الخرائط

^١ . عبد العظيم قدورة مشتهدى، طبوغرافية المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية، ص ٨٨

^٢ - Aharoni, Y., (١٩٦٢): The Land of Israel in Biblical Times, p. ٥٣.

^٣ - Bitan, H., (١٩٩٢): The Governmental Names Commission, p. ٣٧.

والتاريخ وعلم الآثار واللغة العبرية والثقافة اليهودية وخبراء في مجالات متخصصة مثل الهيدرولوجيا والسياسة، وأكاديميون من الجامعة العبرية في القدس، فدلت تشكيلة اللجنة على الهيبة الأكاديمية والالتزام الأكاديمي لتحقيق مسعى وطني^١. ولتعظيم دور مشروع العبرنة Hebraicization تم التعاون العلمي مع أكاديمية اللغة العبرية Academy of Hebrew language التي تأسست في عام ١٩٥٢، وهي تابعة للجامعة العبرية.

وبعد ثمانية أشهر من إنشائها انتهت اللجنة من عمل ٥٦٠ اسما من أسماء الأماكن بالعبرية لمنطقة تمتد من إيلات Eilat في الجنوب والخط بين غزة وعين جدي Ein Gedi في الشمال، وطُبعت الخريطة العبرية بمقياس ١: ٢٥٠٠٠٠٠، وقد نشرت قائمة الأسماء في كتاب رسمي مجاني متاح للجمهور، ذُكر فيه الخطة العلمية للجنة، والمصادر التاريخية المختلفة، ومنها على سبيل المثال: العهد القديم، والتلمود، والنقوش المصرية والآشورية واليونانية والرومانية، وكتب الأدب العبري والعربي.

وقررت اللجنة أيضا طريقة اختيار الأسماء من خلال تحديد مجموعة من خمس أولويات:

. تحديد الهوية التاريخية للمكان.

. استخدام الكتاب المقدس (العهد القديم).

. تجاهل الأسماء العامية المستخدمة من قبل السكان المحليين.

. ترجمة الأسماء العربية، وإعطاء نموذج العبرية إلى العربية وفقا لتشابه الصوت.

. إعطاء المعالم الجديدة أسماء رمزية، كأباطرة وملوك وأبطال التاريخ اليهودي.

وأشاد بن غوريون بأعمال اللجنة في رسالة بعث بها إلى أعضائها.

وتم توزيع قوائم الأسماء العبرية الجديدة على وحدات الجيش، ووُضعت العلامات على الطرق ومداخل الوحدات السكنية، والمستوطنات الجديدة، والالتزام بها في مقررات وزارة التربية والتعليم، لتأخذ على عاتقها مهمة اقتلاع الأسماء الأجنبية وتحذير الأسماء العبرية، كما شمل الإلزام . بخاصة . السلطات الإقليمية والحكومية، ووزارة الأشغال العامة، والمؤسسات التعليمية والشركات العاملة في مشاريع التنمية سواء كانت إسرائيلية أو أجنبية، إضافة إلى راديو إسرائيل.

وعلى الرغم من تعاون كل الهيئات مع اللجنة لإتمام كافة الأسماء العبرية في خريطة إسرائيل وإتاحتها للجمهور، فقد كان الأمر مختلفا مع الخرائط العسكرية، إذ أُعدت أول خريطة عسكرية إسرائيلية في ديسمبر ١٩٤٨ بمقياس رسم ١: ١٠٠٠٠٠٠، كما طُبعت خريطة لإسرائيل بالعبرية بمقياس رسم ١: ١٠٠٠٠٠٠، في عام ١٩٦٣، ثم خريطة بمقياس رسم ١: ٢٠٠٠٠٠٠.

^١ من الجغرافيين في هذه اللجنة: M. Avi-Yona (الجغرافيا التاريخية)، A. Braver (رسم الخرائط)، Z. Vilnay (الجغرافيا والتاريخ من أرض إسرائيل)، Sh. Yevin (الجغرافيا الدينية)

وإتماماً لعملية العبرنة "أى تحويل الأسماء للعبرية" Hebraicization فقد تحددت رسمياً أسماء ٧٠٠٠ معلم جغرافي حتى ١٩٩٢.

وفي سبتمبر ١٩٩٥ سمحت وزارة الخارجية الإسرائيلية لدبلوماسيها بالإبقاء على أسماء أسرهم غير العبرية، وما كانت هذه الخطوة إلا بعد ما يزيد على نصف قرن من التصفية التامة لأسماء كل المواقع العربية وتحويلها إلى العبرية، أما ألقاب العائلات فلا بأس في استثنائها؛ جرياً وراء "حرية الاختيار"^١.

وفي القدس الشرقية بدأ بناء حي يهودي في ربيع عام ١٩٩٧، فوق جبل أبو غنيم (باللغة العربية) Jabl abu Ghneim (باللغة الإنجليزية)، ولكن تم تغيير الاسم إلى Har Homa (باللغة العبرية).

ومع نسيان الأجيال للجغرافيا التاريخية يُنظّم المجلس الوطني الفلسطيني مسابقات تعليمية لطلاب فلسطين، ويكون من بين الأسئلة: "ما هو الاسم الحقيقي للمدن الفلسطينية التي دُمرت، وأسست مكانها المدن التالية....."^٢

المبحث الثالث . عوامل إحياء اللغة العبرية

إن حلم إقامة (أرض إسرائيل) الوارد في الكتب المقدسة عند اليهود ظل يسيطر على الطقوس والشعائر والخيال اليهودي، حتى قدم اليهود من الشتات إلى فلسطين؛ فزادت عملية إحياء العبرية Hebrew revival. وتم اختيار العبرية لأنها لغة العهد القديم، وهى التي ميزت حياة اليهود في الشتات، في إشارة تاريخية وثقافية لمشروع إحياء اللغة العبرية لخلق هوية العبرية، فأصبح كل شيء في زمن الانتداب بالعبرية: التحدث والكتابة والأدب والتعليم^٣. وتأكيداً على قوة اللغة العبرية تم اتخاذ إجراءات شملت إدخال التسميات العبرية في مختلف المجالات والمعارف العلمية، على سبيل المثال علم النبات أو الحيوان، وصك أسماء عبرية للعائلات اليهودية المهاجرة^٤.

وتتضمن عملية الإحياء اللغوي Language Revival آليات متعددة سواء من قبل الدولة، أو الهيئات والجمعيات المعنية، أو الجاليات والأقليات. وقد برزت عدة عوامل ساعدت في إحياء العبرية، وتمثل تلك العوامل فيما يلي:

أولاً . العوامل السياسية والعسكرية:

لبيان العلاقة الوثيقة بين الإحياء اللغوي والعوامل السياسية نذكر بعض الأمثلة على ذلك: ففي التاريخ القديم، يمكن أن نلاحظ تطوراً في الحديث بلغات ثلاث تعاقبت إحداها بعد الأخرى في فلسطين. فكانت العبرية موجودة في

^١ - Jerusalem Post , (١٩٩٥), ١٥ September ١٩٩٥.

^٢ - Falah, G., (١٩٩٦): The ١٩٤٨ Israeli-Palestinian war, p. ٢٦٦.

^٣ - Schweid, E., (١٩٩٥): The Idea of Judaism as a Culture, p.٣٤.

^٤ - Toury, G., (١٩٨٨): Hibernicizing family names, p.٦٧.

القرن الثالث ق.م، وبعدها، نتيجة لتغيرات سياسية وحضارية أفسحت الطريق للغة الآرامية Aramaic، ثم حلت اللغة العربية.

وهناك علاقة كبيرة بين بقاء اللغة وأبعاد الجغرافيا السياسية، ففي أفريقيا نجد بعض اللغات تنتشر في أكثر من دولة عبر الحدود السياسية. إما كما هي، أو في صورة لهجات محوّرة. وثمة علاقة بين اللغة والدولة القومية Nation State. بمفهوم الجغرافيا السياسية يُفترض أن تكون للأمة لغة واحدة مهيمنة، واختفاء اللغة يعنى اختفاء الأمة. وفي حالة الاستعمار، نجد أمثلة عديدة لتبني النخبة Elite من الوطنيين والمتعاملين مع المستعمر الأوروبي للغة المستعمر كلغة ثانية مع لغتهم الوطنية، مما يؤدي تدريجياً لموت اللغة الوطنية، فضلاً عن النظر لها نظرة دونية حين يتباهى أفراد صفوة المجتمع بالحديث بلغة أجنبية، مما يجعل العديد من المواطنين يقلدوهم^١.

ويؤكد جوشوا فيشمان Joshua Fishman على القومية باعتبارها "وحدة الفكر"، ويشرح أهميتها في بناء اللغة حيث أنّها "تعزز وحدة الوطن وتُبقي عليه صحيحاً معافى"^٢، كما أنّها تظل أداة قوية في توجيه الأمة وبناء نهضتها الثقافية، فهي المفسر الحقيقي الحي للتراث التاريخي والثقافي والهوية. ومسألة اللغة تحتاج للتحليل والتمحيص في فترات الاستعمار، ويزداد التدقيق والتمحيص في مرحلة ما بعد الاستعمار post-colonial، حيث يتم تشكيل لغة وطنية national language، عادة ما تأخذ شكلاً من أشكال تخطيط اللغة language-planning، لحل مشاكل اللغة^٣، حيث يتم "تنقية" اللغة الوطنية من التأثيرات الخارجية، والتراكيب غير المرغوب فيها^٤.

وتشكل أسماء الأماكن Toponymy مكاناً بارزاً في البناء الثقافي للمظهر الأرضي، ومن ثم لا يمكن العثور على دلالات الأسماء في القواميس، بل في الخرائط وفي الموسوعات المتخصصة، والتي تؤرخ لأماكن محددة تعدّ جديدة بالذكر. فتسميات الشوارع والميادين والقرى والمدن والحوضر تشكل فرعاً من فروع الجغرافية القومية، على النقيض من أسماء النباتات، والحيوانات، وغيرها مما ينتمي إلى مجال الجغرافيا الشعبية folk geography. كما أنّ قراءة أسماء الأماكن يضمن تفسير العلاقات الاجتماعية والعرف^٥.

واستغل الألمان الظروف السياسية في أوروبا فعملوا على إحياء العربية لمصالح سياسية، ففي أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، قامت القوات الألمانية في بولندا بمحاولة تجنيد اليهود باعتبارهم عنصراً ألمانياً، وأصدرت القيادة العسكرية

^١. زاهر رياض، استعمار أفريقيا، ص ٣١٢.

^٢ - Fishman, J. A., (١٩٧٢): Language and Nationalism, p. ٦٢.

^٣ - Ibid., p. ٥٥.

^٤ - Even Zohar, (١٩٨٦): Language conflict, p.١٢٨.

^٥ - Duncan, J., (١٩٨٨): (Re)reading the landscape, p.١١٩.

الألمانية منشورات بالعبرية واليديشية، وتحوّلت ألمانيا، بعد الحرب العالمية الأولى إلى مركز للثقافة العبرية نتيجةً لهرب عديد من الكتاب اليهود من روسيا^١، ومن ثمّ فالدولة النازية سبقت الدولة الصهيونية في تبني كثير من مشاريع العبرنة.

وقد نشبت «معركة اللغة» Language War في المستوطنات الصهيونية في فلسطين تعبيراً عن تعدد الانتماءات والهويات اليهودية اللغوية والحضارية، وعن الصراع بين الدول الاستعمارية الكبرى (فرنسا وإنجلترا وألمانيا) من أجل فرض هوية ثقافية على المستوطن الصهيوني وضمان بقائه في حيز نفوذها. فاحتفظت مدارس الأليانس باللغة الفرنسية، وأبقت المدارس الإنجليزية (اليهودية) على لغة الوطن الأصلي، وظلت العبرية فيها جميعاً لغة ثانية^٢.

ثانياً . العوامل الاقتصادية والاجتماعية:

يعني أسلوب تحليل الكلفة Cost - Benefit Analysis حساب المكاسب والفوائد المادية والاجتماعية، التي يمكن أن نجنحها من تنفيذ مشروع إحياء اللغة، مقابل ما يُصرف عليه من أموال، وما يبذل فيه من جهد^٣. والمهم في الأسلوب المذكور، أنه لا يركز على المحصلة Outcome من الزاوية الاقتصادية، إنما أيضاً على الجوانب الاجتماعية؛ لذلك يتشابه هذا الأسلوب مع أسلوب دراسات الجدوى، وتحليل كل الظروف بحيث تقيّم المشروعات التخطيطية لتغطي التكلفة المادية والاجتماعية المبذولة^٤.

وبالنسبة لتحليل كلفة عملية إحياء العبرية فقد ساهم فيها اليهود من روسيا وألمانيا وبولندا بخاصة ثم بقية يهود العالم، وكانت الجدوى من التكلفة أضعافاً مضاعفة؛ ألا وهي إقامة "دولة عبرية".

وفي رياض الأطفال في إسرائيل يتم تعليم الأطفال الفلسطينيين واليهود معاً، ولغة التدريس المهيمنة هي العبرية، كما أن العبرية هي اللغة السائدة في كلا القطاعين العام والخاص وفي العلامات والإعلانات العامة، وهذا هو الحال أيضاً بين كل من الجنود العرب الدروز والبدو الذين يخدمون في الجيش الإسرائيلي، والذين يتعرضون لتأثير العبرية على نطاق واسع.

وهناك عدد قليل جداً من الزواج المختلط بين المتحدثين بالعربية والعبرية في إسرائيل، والقاعدة أن الزيجات المختلطة هي استثناء في الواقع، والزواج المختلط ليست فقط نادراً، ولكن أيضاً يعد انحرافاً اجتماعياً عند الطرفين.

^١ - Fishman, J. A., (١٩٧٢): Language and Nationalism, p. ٦٢.

^٢ - Ibid., p. ٦٢.

^٣ - Mayhew, S., (١٩٩٧): Oxford Dictionary of Geography, p. ١٠٥.

^٤ - Clark, A.N., (١٩٩٠): The penguin dictionary of Geography, p. ١٣٥

^٥ - Bernard, H.R., (٢٠٠٢): 'Language Preservation and Publishing', p. ١١٩

أما من الناحية الاجتماعية فقد دخلت كلمات عبرية كثيرة على لغة الجريمة في العالم، خصوصاً لغة القوادين السرية في أوروبا. فلغة القوادين في أمستردام هي العبرية، ولعلها لغة سرية خليط من الهولندية والعبرية. كذلك تُصدّر إسرائيل مرتزقة إلى الخارج لتدريب قوات تجار المخدرات في كولومبيا أو حرس بعض رؤساء دول أمريكا اللاتينية^١.

و"اللغات السرية": لهجات ورطانات خاصة، بل أحياناً لغات، يستخدمها أعضاء الجماعات الوظيفية. وهذه اللهجة أو الرطانة أو اللغة عادةً ما تختلف عن لغة المجتمع المضيف أو مجتمع الأغلبية. وقد كان تحدث هذه اللغة يُعدُّ شرطاً للانخراط في سلك الجماعة. أعضاء الجماعات الوظيفية الوسيطة من اليهود في شرق أوروبا، فكانوا يتحدثون اليديشية. وكان أعضاء الجماعة اليهودية يستخدمون اللغة السرية لمناقشة الأمور التي تمهمهم دون أن يفهمهم أحد من المحيطين بهم، بخاصة في الأسواق، وهو ما كان يُسهّل عملية الغش التجاري والاحتيال، وكثيراً ما كان اللصوص يتعلمون هذه اللغة لاستخدامها بين الناس دون أن يفهمهم أحد. فقد قام موظف بروسي بإعداد معجم عن لغة اللصوص السرية في أواخر القرن الثامن عشر، وظهر أن كثيراً من كلمات هذه اللغة السرية ذات جذور عبرية أو أصل عبري. وقد أخذ هذا دليلاً على اشتراك أعضاء الجماعة اليهودية وتورطهم في عالم الجريمة.

ثالثاً. العوامل الدينية:

توضح الأمثلة التاريخية علاقة وثيقة بين اللغة والعقيدة. ففي قارة أوروبا نجد على سبيل المثال أن هناك توافقاً بين الكاثوليكية واللغات الرومانية، وأن منطقة الكاثوليكية تتفق مع المنطقة التي تتحدث بلغات المنحدرة عن اللاتينية. كذلك الحال مع الأرثوذكسية المرتبطة باللغات الهيلينية والسلافية، كما أن البروتستانتية ترتبط باللغات الجرمانية ومناطق انتشارها لأن حركة الإصلاح الديني بدأت في ألمانيا. أما اليهودية في شرق أوروبا، فارتبطت باللغات مثل اليديش **Yiddish**، واللادينو **Ladino**، وليس من الغريب أن تصل اللغة العربية إلى أماكن عديدة في العالم حيث وصل الدين الإسلامي. والكتابات الدينية تحفظ اللغة التي كتبت بها المؤلفات المقدسة.

والأمثلة عديدة على ارتباط ظهور لغات أو غيابها مع بدء انتشار ديانات معينة فمع انتشار الإسلام في مصر، بدأ تدهور اللغة القبطية، ثم انتهى الأمر أن أصبحت محدودة الانتشار، تقتصر وظيفتها على مظاهر كنسية. ولا تندثر اللغة فجأة، إنما يتم ذلك تدريجياً، لذا يرى البعض أن القبطية عاشت مع العربية فترة.

ومن المعلوم أن اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة يكتب لها البقاء، ومن هذا المنطلق فإن أي تحدٍ لثقافة ما، ينطوي على تحدٍ للغتها. ويبدو هذا جلياً في ربط اللغة العبرية بالديانة اليهودية، وربط اللغة العربية بالديانة الإسلامية.

رابعاً. العوامل الديموجرافية:

^١. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٣/١١٣)

^٢. أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، ص ١٣.

يعد البعد الديموجرافي Demographic Dimensions من أهم الأبعاد في دراسة اللغة، والسبب بسيط للغاية، فالبشر هم من يستخدم اللغة دون غيرهم. وتتجلى الأبعاد الديموجرافية في دراسة اللغات في كثير من الجوانب، ومنها: الهجرة Migration والعمر age والحرفة Occupation والنشاط الاقتصادي Economic Activity، والأقليات Minorities والعرق Ethnic Group، ومن أهم هذه الأبعاد في سياق علاقتها باللغة، العمر. إذ أن ضمان حيوية وبقاء اللغة Language Survival، ارتباطها بالأعمار الصغيرة.

ويشكل العرب الفلسطينيين في إسرائيل أقلية عددية كبيرة في البلاد. فهناك أكثر من ١.٢٠٠.٠٠٠ فلسطيني في إسرائيل، وهو ما يمثل نحو ١٩٪ من مجموع السكان، علاوة على ذلك، هناك ما يقرب من ٣.٥٠٠.٠٠٠ من الناطقين بالعربية من الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية. ورغم ذلك فإسرائيل جزيرة عبرية وسط بحر "العربية"، إذ تحيط بها البلدان الناطقة بالعربية من كل جانب.

ويعيش الفلسطينيون داخل الدولة العبرية في ثلاثة أقاليم هي: المثلث الصغير في الوسط، والجليل وحيفا في الشمال، والنقب في الجنوب، وأغلبهم (٩٠٪) يعيشون في القرى والمدن العربية و ١٠٪ يعيشون في أحياء منفصلة فيما يُسمى البلدات والمدن المختلطة. وهذا يعني أن الفلسطينيين في إسرائيل يستخدمون اللغة العربية كلغة مجتمع في مجالات متعددة من الحياة، ومع ذلك، يبدو تأكل corrode العربية ملموسا في البلدات والمدن المختلطة، إذ أصبحت العبرية اللغة السائدة بين العديد من الفلسطينيين، وبخاصة الطلاب^١، وهو ما يُسمى الأسر اللغويّ linguistic capture. ومن ثم يبدو واضحا داخل الدولة العبرية بروز ما يُعرف في جغرافية العمران بعملية الفصل السكني Urban Residential Segregation.

خامسا. العوامل الثقافية:

للغة المكتوبة فرصة نفاذ أكبر من اللغة المنطوقة، والكتابة تجعل لها أصولاً، حتى لو زالت فرصة زوال لغة منطوقة أكبر من فرصة زوال اللغة المكتوبة. ومن ثم حرص اليهود على تدعيم العوامل الثقافية كما يلي:

١. دعم الطباعة والصحف:

أسس منسى بن إسرائيل (١٦٠٤-١٦٥٧) Manasseh Ben Israel أول مطبعة عبرية في أمستردام عام ١٦٢٦ نشرت عدة كتب باللغة العبرية وغيرها^٢. وانتقلت حركة التنوير، في الثلاثينيات، من ألمانيا وجاليشيا إلى روسيا، حيث وُضعت أسس الأدب الحديث المكتوب بالعبرية ونُشرت أول رواية عبرية عام ١٨٥٤^٤

^١. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، نتائج تعداد السكان لعام ٢٠٠٧م

^٢. عبد العظيم قدورة مشتهى، الخصائص المكانية للمراكز العمرانية الفلسطينية، ص ١٢٣

^٣ - Goell, Y., (١٩٦٨): Bibliography of Modern Hebrew, p.١٢.

^٤ - Ibid., p. ٢٥

ومن أعلامهم في هذا المجال كلاوزنر الذي تولى رئاسة تحرير المجلة العبرية هاشيلواح، ورأس تحرير المجلة العبرية بيتار لسان حال حزب الصهاينة التصحيحيين، كما أشرف منذ عام ١٩٥٠ على تحرير دائرة المعارف العبرية. وخلف كلاوزنر عدداً كبيراً من المؤلفات تتوزع بين الدراسات التاريخية والنقد الأدبي وعلم اللغة، ولكنه وجّه جل اهتمامه إلى إحياء اللغة العبرية وتوسيع نطاق استخدامها. ومن أبرز مؤلفاته في هذا المجال كتاب "اللغة العبرية لغة حية" (١٨٩٦) وكتاب "نحو اللغة العبرية" (١٩٣٥) الذي كان من محاولات وضع قواعد حديثة للعبرية^١.

ومنهم الصحفي والناقد الأدبي الروسي اليهودي مناحم ريبالو (١٨٩٦-١٩٥٣) **Menahem Ribalow** رئيس تحرير المجلة الأسبوعية العبرية هادوعار التي كانت تصدر في نيويورك، إذ ساهم بقسط وافر في حركة إحياء اللغة العبرية وفي مجال خلق جسور التفاهم بين الأدباء الذين يكتبون بالعبرية واليديشية في الولايات المتحدة. كما تولى منصب الرئيس المناوب للاتحاد العالمي للعبرية. وشارك في تحرير الكتاب السنوي ليهود أمريكا، فضلاً عن تحرير عدد من المختارات الأدبية العبرية. وقد جُمعت مقالاته وظهرت في خمسة مجلدات^٢.

٢. تأسيس الجمعيات اللغوية:

أسس الشاعر والمسرحي الروسي اليهودي جيكوب كاهان (١٨٨١-١٩٦٠) **Jacob Kahan** في برن بسويسرا جمعية دولية لتطوير اللغة العبرية، وشغل في برلين منصب أمين جمعية اللغة والثقافة العبريتين. وفي عام ١٩٣٠ انتُخب رئيساً لنادي القلم العبري في بولندا وظل يشغل هذا المنصب لمدة أربع سنوات^٣.

وتأسست «رابطة الثقافة اليهودية» **Juedischer Kulturband** في ألمانيا عام ١٩٣٣، بمبادرة من النظام النازي، وكانت بمنزلة المنبر الأساسي للكُتّاب والموسيقيين اليهود. وقد بلغ عدد أعضائها ١٧ ألفاً ثم زاد إلى ١٩ ألفاً بعد عدة شهور، وكان يعمل فيها عدد كبير من الموظفين و ١٢٥ من الموسيقيين والممثلين والمغنين، وكانت تطبع بعض منشوراتها بالعبرية واليديشية^٤.

٣. عِبْرَةَ الفنون:

في عام ١٩٣٢ أخرج باروخ أجراقي فيلم «هذه أرضك»، وكان أول فيلم ينطق باللغة العبرية في تاريخ السينما، ثم توالى الأفلام العبرية بعد ذلك.

^١ . عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٤٠٥/٧)

^٢ - Spolsky, B., (١٩٩٦): "Prolegomena to an Israeli Language. p. ٤٦.

^٣ - Fishman, J. A., (١٩٧٢): Language and Nationalism, p. ٦٢.

^٤ - Shohamy, E., (١٩٩٤): "Issues in language planning in Israel, p. ١٤١

^٥ . عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٢٥٤/٧)

وفي عام ١٩٦٢ افتتح متحف ماجنيس التذكاري في بركلي بكاليفورنيا، وهو من أكبر متاحف الجماعات اليهودية. ويضم المتحف مكتبة وثائقية تعرض إسهامات الأمريكيين اليهود في تطوُّر الفن الأمريكي، ومكتبة من الكتب النادرة والمخطوطات تضم كتباً ودوريات بالإنجليزية والعبرية واليديشية واللادينو^١.

كما زادت العناية بالترجمة من العبرية إلى اللغات الأخرى والعكس، ومن ذلك أن أبراهام كلاين (١٩٠٩-١٩٧٢) Abraham Klein قام بتحرير الجريدة الأسبوعية كنديان جويش كرونكل في الفترة ١٩٣٩ - ١٩٥٣ والتي نُشِرَ فيها كثيراً من المقالات وعدداً من الأشعار التي قام بترجمتها إلى الإنجليزية من العبرية واليديشية^٢.

المبحث الرابع . اللغة وتغيرات اللاندسكيب الحضاري في فلسطين

تسهم اللغة في إمكانية إعادة بناء المظهر الحضاري على الأرض of Cultural Landscape، وهذا العمل في صميم اهتمامات الجغرافيا، باعتبار أن اللغة تمثل "حفرية" تمثل ذلك الحفرية الجيولوجية، التي تساعد في فهم اللاندسكيب الطبيعي.

أولاً . تغيرات الجغرافيا الثقافية:

إذا كانت العبرية تنحصر داخل "الدولة العبرية"؛ ويعمل اليهود فقط على مستوى العالم على الترويج لها؛ ولكن رغم ذلك فإن تغيرات الجغرافيا الثقافية تتمثل فيما يلي:

١- ظهرت مجموعة من الكُتَّاب الفلسطينيين العرب الذين يكتبون بالعبرية. ومن أهمهم أنطون شماس صاحب رواية أرابيسك (١٩٨٦) والتي كتبها بعبرية أدهشت الإسرائيليين. وكان شماس قد كتب ونشر قصائد بالعربية والعبرية في السبعينيات، وفي الفترة نفسها بدأت سهام داود وهي الكاتبة والصحفية العربية من حيفا تكتب الشعر بالعبرية أيضاً. وفي عام ١٩٩٢ كتب الشاعر الفلسطيني توفيق زياد، الذي كان عضواً في الكنيست الإسرائيلي قطعة شعرية على وزن المقامة، وهي لون شعري عبري كان يُقال على غرار المقامة العربية. ويعكف الشاعر الفلسطيني العربي نعيم عرايدي على كتابة روايات بالعبرية، وهو الذي عُرف بوصفه شاعراً وكاتباً عربياً في إسرائيل. ولعله يمكن الإشارة إلى هذا الأدب على أنه «أدب عربي مكتوب بالعبرية»^٣، وليس «أدباً عبرياً».

٢- جعلت إسرائيل المشاركة في الأعمال ذات الأهمية والحساسية في الدولة مقصورة على من يجيد العبرية.

٣- الجيش الإسرائيلي يُدرِّس العبرية للمجندين القادمين من أطراف العالم ليصبغهم بالصبغة القومية المرجوة.

٤- يتعيَّن على كبار موظفي الحكومة عبْرنة أسماءهم.

^١ - Ben-Rafael, E., (٢٠٠٦): "Linguistic Landscape, p. ٢٢

^٢ - Shohamy, E., (١٩٩٤): "Issues in language planning in Israel, p. ٦٤

^٣ - Koplewitz, I., (١٩٩٢): "Arabic in Israel, p. ٤٩.

٥. بحسب قانون الدولة الصهيونية، هناك لغتان رسميتان: العبرية والعربية. وتُكتب معظم اللافتات باللغتين، ومن الاستثناءات المهمة لافتات المكاتب التابعة لوزارة الزراعة التي تُكتب بالعبرية فقط.

٦. تختفي اللافتات العربية في الأحياء التي يقطن فيها اليهود.

٧. الشركات الخاصة لا تستعمل العربية.

٨. برامج تدريس العربية للأطفال الإسرائيليين اليهود آخذة في التراجع.

ورغم كل هذه المحاولات، يبدو أن عملية الدمج لم تنجح بعدُ تماماً. ويتضح هذا من عدد الصحف التي تظهر بلغة البلاد الأصلية التي هاجر منها الإسرائيليون، كما أن الإذاعة الإسرائيلية تذيع برامج بلغات عديدة، مثل: اليديشية والفرنسية والإنجليزية والرومانية والتركية والفارسية والعربية والروسية والإسبانية، ولكن معظم الإسرائيليين يتحدثون العبرية خارج منازلهم. أما داخلها، فإنهم يتحدثون إما لغة الموطن الذي جاءوا منه وإما العبرية باللهجة التي يعرفونها. وهذا يشير إلى عدم نقاء الظواهر الحضارية اليهودية ابتداءً باللغة العبرية ذاتها^١.

ثانياً. تغيير الحالة التعليمية:

تظهر سياسة تعليم اللغة في إسرائيل من خلال وثيقة صدرت من وزارة التربية والتعليم في يونيو ١٩٩٥، تنص على أن اللغة الأم هي العبرية، ولا يجوز التعليم بغيرها كلغة أولى، وتحدد هذه السياسة أهداف معرفة القراءة والكتابة باللغة العبرية بالنسبة للمهاجرين، مع السماح للطلاب المهاجرين والطلاب الذين تعلموا في الخارج لفترة طويلة في اختيار اللغة الثانية. وتنص القوانين على تدريس اللغة العبرية للمهاجرين لمدة سنة واحدة لتطوير معرفة القراءة والكتابة في تلك اللغة في الضفة والقطاع. وهناك اعتماد لتدريس اللغة العبرية اختياريًا في الصف الأول وإجباريًا من الصف الثاني حتى الثاني عشر (نهاية التعليم الثانوي). والدرجة الدنيا للنجاح للناطقين بالعبرية والعربية من ٧ إلى ١٠ درجة^٢.

وكانت الكتب المدرسية في وقت مبكر تميل إلى وصف أعمال العرب بأنهم مثل "الصوص"، "المتعطشون للدماء"، "القتلة"، "suspicious"، "rioters"، "murderers"، وقد تم تنقيح بعض هذه الأساليب إلا القليل من الإيجابيات في المناهج الدراسية^٣، كما أن الكتب المستخدمة باللغة العربية في المدارس الابتدائية والإعدادية تحتوي على مراجع قليلة جدا عن العرب.

^١ - Ibid., p. ٦٥.

^٢ - Bernard S., (٢٠٠٥): National Profiles Of Languages, P. ١٧

^٣ - Maureen Meehan, (١٩٩٨): Israeli Textbooks , p. ١٦٦.

والكتب المدرسية التي يستخدمها ما يقرب من مليون من عرب إسرائيل هي بالعربية لأنها مكتوبة بمعرفة وزارة التعليم الإسرائيلية، حيث لا يملك الفلسطينيون أي نفوذ في مُدخلاتها. وبالنسبة لوظائف وزارة التربية والتعليم، لا يُتاح لفلسطيني المشاركة في إعداد المناهج الدراسية باللغة العربية.

ولا توجد جامعات ناطقة باللغة العربية في إسرائيل، وكان في جامعة حيفا **Haifa**، ٢٠% من الطلاب من العرب على مدى السنوات العشرين الماضية. وهذه النسبة لم تزد بعد كل هذه السنين رغم زيادة عدد السكان العرب في شمال إسرائيل بنسبة ٥٠%، ومرد ذلك لعدة أسباب:^١

١. أن الطلاب العرب يحصلون على درجات ممتازة في المدرسة الثانوية في مادة "اللغة العبرية"، ولكنهم يحصلون على درجات أقل من المتوسط في اللغة العبرية في امتحانات القبول في الكلية

٢. لا توجد أي منح دراسية بالعربية بجامعة حيفا أو أي جامعة إسرائيلية.

٣. لا توجد مساكن في "المدن الجامعية" للطلاب العرب

٤. هناك العديد من الأساليب الرسمية المستخدمة لتقليل دخول العرب الفلسطينيين إلى الجامعات العبرية.

ومن ثم أصبح الخريجون الفلسطينيون من الجامعات الإسرائيلية يعملون معلمين، ومعظمهم يفتقر إلى المؤهلات الأساسية الرسمية للتدريس باللغة العبرية، ومن ثم يستخدم العبرية رغما عنه؛ لإيجاد وسيلة للعمل^٢.

ثالثاً. اندراس أسماء المعالم الجغرافية:

يمكن من خلال دراسة أسماء الأماكن **Place Names** تتبع اللغات المنقرضة، ومعرفة التاريخ الثقافي لمنطقة ما، رغم غياب اللغة ذات الصلة، ويمكن الحصول على مئات الأدلة من تتبع أسماء المحلات العمرانية، ولا تفيد دراسة أسماء الأماكن في التعرف على اللغات الآفلة فقط؛ إنما تدل على عديد من المظاهر الجغرافية الطبيعية والحضارية وعلى التاريخ الثقافي لمنطقة بعينها^٣. فرغم موت اللغة، إلا أنها تظل حية في أسماء الأماكن، ومن ثم عمدت الدولة العبرية إلى تغيير أسماء الأماكن لتنمحي منها ذاكرة الحضارة والتاريخ الفلسطيني. فأسماء الأماكن ليست مجرد لفظة لغوية، بل تبرهن في كثير من الأحيان عن علاقات القوة.

ويُعد إعادة تشكيل أسماء المواقع الجغرافية مثالا للعلاقة بين العمليات السياسية والثقافية بين الأقوى والأضعف، على سبيل المثال في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، كان البناء المنهجي لأسماء الأماكن «وطني» **national** ليشير

^١ - Ibid., p. ١٦٧.

^٢ . مركز الإحصاء الفلسطيني، ديموغرافية الشعب الفلسطيني، ص ٨٢.

^٣ - Norton, W., (٢٠٠٢): Human Geography, p. ١٩٦.

إلى بناء الأمة وتكوين الدولة، ثم تغيرت الأسماء رويدا لتشير إلى "النهضة الوطنية" "national revival"^١. كان هذا هو الحال في اليونان بعد ١٨٣٠، حيث الأسماء التركية، والإيطالية والسلافية تحولت إلى اليونانية Hellenized، والأسماء البولندية في المناطق التي تم ضمها إلى الرايخ الألماني بعد عام ١٩٣٩ تحولت إلى أسماء ألمانية خالصة، ولما هُزمت ألمانيا عام ١٩٤٥ تم استبدال الأسماء التقليدية الألمانية للمواقع الجغرافية باللغات الروسية والبولندية والتشيكية في المناطق المطهرة عرقيا ethnically cleansed areas.

من هذا المنطلق تم إعادة تشكيل الخريطة العبرية في إسرائيل في أعقاب تأسيس الدولة، وكانت إسرائيل تدبير المؤسسة الثقافية لترسيخ مفهوم القومية الصهيونية Zionist nation الرامية إلى استعادة علم تركيب الأسماء بإحياء اللغة العبرية Hebrew Toponymy في طبوغرافية المكان^٢. وكانت طبيعة المظاهر الأرضية landscape في البداية تشير إلى عبْرنة Hebraicization الأسماء لتثبيت الأيديولوجية الصهيونية بنشر الأسماء العبرية أفقيا لتأكيد الهوية اليهودية لدولة إسرائيل.

وفي خمسينيات القرن العشرين تم تشكيل "لجنة الأسماء الحكومية" Governmental Names Commission لوضع أطر الخريطة الوطنية national map، مع تقييم مدى نجاح المشروع وآثاره في سياق الصراع بين اليهود والعرب. ويعد هذا إنجازا كبيرا من القومية اليهودية الحديثة، حيث يشير عادة إلى إحياء اللغة العبرية التي ترتبط مع الصهيونية كمشروع قومي لبناء الأمة^٣.

وبدأ مشروع الترويج للتهويد بوضع الأسماء العبرية لجميع المعالم الجغرافية في خريطة إسرائيل، وعلى خريطة أعدتها حكومة الانتداب البريطاني في وقت مبكر في أربعينيات القرن العشرين، وكانت أسماء الأماكن الرسمية لفلسطين تحت الانتداب البريطاني بالعربية حتى مع الخرائط التي تعنى بالأماكن المسيحية المقدسة. وكنشاط مؤسسي بدأت اللجنة في ١٩٤٩ من صحراء النقب. وكتبت "أرض إسرائيل" Land of Israel (بالعبرية: Eretz Israel) لتمثل الوطن المسترد للأمة اليهودية. واعتمدت اللجنة أساسا على المواد الأرشيفية، وسعت إلى وضع المادة في سياق تاريخي وثقافي للمشروع، لتسليط الضوء على معالمه وديناميته^٤. وكانت دراسات أخرى عن أسماء المواقع الجغرافية الإسرائيلية تركز على الخصائص الفكرية والتصنيفات الموضوعية للأسماء اليهودية للمستوطنات^٥.

وإذا كانت الدولة العبرية قد نجحت في تغيير أسماء الأماكن لتنمحي ذاكرة الحضارة والتاريخ الفلسطيني؛ فهذا الطرح غير سديد، ذلك لأنه في حالة "معركة اللغة" تنتصر اللغة الأقوى، ألا وهي "العربية"، ونستدل على ذلك برأي

^١ . جروفز جودي، وماهرجون، اللغة والسياسة، ص ٣٦

^٢ - Maoz Azaryahu, (٢٠٠١): (Re)naming the landscape, p. ١٨٩

^٣ - Gellner, E., (١٩٩٤): Encounters with Nationalism, p. ١٦٦.

^٤ - Cohen, S. B., (١٩٨١): Israel's place-names, p. ٢٣٧.

^٥ - Idem, (١٩٩٢): Place-names in Israel's ideological , p. ٦٦٦

"جول فرن"^١ في قصته الخيالية التي يعتمد بناؤها على (أناس يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى دنوا من وسطها، ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض بدا لهم هنالك أن يتركوا أثراً يدل على مبلغ رحلتهم فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية)، ولما سئل فرن عن اختياره للغة العربية من بين (٤٥٠٠) لغة على وجه الأرض؟، قال إنها: (لغة المستقبل ، ولاشك أنه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن ذاته)^٢.

المصادر والمراجع

- . أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
- . الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، نتائج التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام ٢٠٠٧م، القدس، ٢٠٠٨.
- المركز الجغرافي الفلسطيني، القرى المدمرة في فلسطين، القدس، ١٩٩٩
- المركز الجغرافي الفلسطيني، المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة، القدس، ١٩٩٥
- . جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، دار الهلال، ١٩٥٧م

^١ (جول فرن) (Jules Verne) (١٨٢٨-١٩٠٥): روائي فرنسي، له الفضل فيما يُعرف بأدب الخيال العلمي؛ ومن رواياته "رحلة إلى مركز الأرض"، وهي المشار إليها في النص.

^٢. محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية، ص ١٣

- . جروفز جودي، وماهرجون، اللغة والسياسة، ترجمة: نعوم تشومسكي، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.
- . حسن ظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- . حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- . خليل أحمد عميرة، في التحليل اللغوي، ط ١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م.
- . زاهر رياض، استعمار أفريقيا، القاهرة، ١٩٦٥.
- . طلال ناجي، الاستيطان الصهيوني، الجمعية الجغرافية الفلسطينية، دمشق ١٩٨٧.
- عبد العظيم أحمد عبد العظيم، الجغرافيا السياسية ومشكلات القرن الحادي والعشرين، ط ٣، مكتبة الإسرائ، الإسكندرية، ٢٠١١.
- . عبد العظيم قدورة مشتهدى، الخصائص المكانية للمراكز العمرانية الفلسطينية والمستوطنات الإسرائيلية في محافظة الخليل.. "دراسة في الجغرافيا"، مجلة علوم إنسانية "إلكترونية"، WWW.ULUM.NL، السنة الخامسة: العدد ٣٧: ربيع ٢٠٠٨.
- . عبد العظيم قدورة مشتهدى، طبوغرافية المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية بالنسبة لمراكز العمران الفلسطيني في محافظة جنين، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد العاشر، العدد الثاني، ربيع ثاني ١٤٢٣ هـ، حزيران ٢٠٠٢ م.
- . عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط ١، دار الشروق، ١٩٩٩م.
- عمران أبو صبيح، دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، دار الجليل للنشر والطباعة والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩٣.
- . فواز الشراقوي، تكوين السكان اليهود في فلسطين قبل سنة ١٩٤٨، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢٠(٢)، ٢٠٠٦.
- . كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م.
- . محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية، ط ٢، دار الحداثة، ١٩٨٣.
- . محمد مدحت جابر عبد الجليل، وفاتن محمد البناء، جغرافية اللغات، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ٢٠١١.
- مركز الإحصاء الفلسطيني، ديموغرافية الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، سلسلة تقارير الوضع الراهن، رقم ١، رام الله-الضفة الغربية، ١٩٩٤.
- Afendras, E., (١٩٧٠): Diffusion Process in Language Prediction and Planning, Quebec.
- Aharoni, Y., (١٩٦٢): The Land of Israel in Biblical Times: A Geographical History, Jerusalem.
- Ben-Rafael, E., Shohamy, M., Amara, M. H., and Trumper-Hecht, N., (٢٠٠٦): "Linguistic Landscape as a Symbolic Construction of the Public Space: The Case of Israel." International Journal of Multilingualism ٣(١): ٧-٣٠.

- Bernard Spolsky and Elana Shohamy, (2005): NATIONAL PROFILES OF LANGUAGES IN EDUCATION: ISRAEL: LANGUAGE POLICY, Language Policy Research Center.
- Bernard, H.R., (2002): 'Language Preservation and Publishing', in D.B. Heath (ed.), Contemporary Cultures and Societies in Latin America: A Reader of Social Anthropology of Middle and South America (Illinois), 117-128.
- Bitan, H., (1992): The Governmental Names Commission, Eretz Israel: Studies in the Knowledge of the Land, 23, Tel Aviv, 367-370.
- Clark, A.N., (1990): The penguin dictionary of Geography, London.
- Cohen, S. B., and Kliot, N., (1981): Israel's place-names as reflection of continuity and change in nation-building, Sociolinguistics, New York, 29, 227-248.
- Crystal, D., (1999): The penguin dictionary of Language, 2nd ed.
- Duncan, J., and Duncan, N., (1988): (Re)reading the landscape, Environment and Planning D: Society and Space, 6, 117-126.
- Even Zohar, (1986): Language conflict and national identity: a semiotic approach, in J. Halper, (Ed), Nationalism and Modernity: Mediterranean Perspectives, New York and Haifa, 126-130.
- Falah, G., (1996): The 1948 Israeli-Palestinian war and its aftermath: the transformation and de-signification of Palestine's cultural landscape, Annals of the Association of American Geographers 86, p. 207-280.
- Fishman, J. A., (1972): Language and Nationalism, Rowley, MA, 72.
- Gellner, E., (1994): Encounters with Nationalism, Oxford.
- Goell, Y. 'ed', (1978): Bibliography of Modern Hebrew literature in English translation, Jerusalem.
- Hallel, Michael, and Bernard Spolsky, (1993): The teaching of additional languages in Israel, Annual Review of Applied Linguistics 13, 37-49.
- Hirschfeld, H., (1926): Literary history of Hebrew grammarians and lexicographers. London.
- Idem, (1992): Place-names in Israel's ideological struggle over the administered territories, Annals of the Association of American Geographers 82, 603-680.
- Jerusalem Post, (1990): Diplomats can now keep their non-Hebraic names, 10 September 1990.
- Jordan, T., (1973): The European Cultural Area, New York.

- Katz, Y., (1990): Identity, nationalism, and place names: Zionist efforts to preserve the original local Hebrew names in official publications of the mandate government of Palestine”, *International Journal of Multilingualism* 43, 103-118
- Kniffen, F., (1951): The American Covered Bridge, *Geographical Review* 41, p. 114-123.
- Koplewitz, I., (1992): “Arabic in Israel: The Sociolinguistic Situation of Israel’s Arab Minority.” *International Journal of the Sociology of Language* 98: 29-77.
- Maoz Azaryahu and Arnon Golan, (2001): (Re) naming the landscape: The formation of the Hebrew map of Israel 1949-1970, *Journal of Historical Geography*, 27, 2, 178-190
- Maureen Meehan, (1998): Israeli Textbooks and Children’s Literature Promote Racism and Hatred Toward Palestinians and Arabs, *Annals of the Association of American Geographers*, 88: 106-170.
- Mayhew, S., (1997): *Oxford Dictionary of Geography*, Oxford University Press.
- Norton, W., (2002): *Human Geography*, Oxford University Press, New York.
- Saulson, S. B., (1979): Institutionalized Language Planning. Documents and Analysis of the Revival of Hebrew (The Hague) 70.
- Schweid, E., (1990): *The Idea of Judaism as a Culture*, Tel Aviv.
- Shohamy, Elana, (1994): "Issues in language planning in Israel: language and ideology." *Language planning around the world: contexts and systematic change*. Ed. Richard D. Lambert. Washington DC: National Foreign Language Center, 131-142.
- Spolsky, Bernard, (1996): "Prolegomena to an Israeli Language Policy." *Language, Education and Society in a Changing World*. Ed. Tina Hickey and Jenny Williams. Clevedon: Multilingual Matters Ltd., July, 1996
- Toury, G., (1988): Hibernicizing family names in the land of Israel as ‘cultural translation’, in N. Gertz (Ed), *Viewpoints: Culture and Society in the Land of Israel*, Tel Aviv.

الفهرس

المبحث الأول . التحليل المكاني للغة العبرية

أولا . العبرية داخل إسرائيل

ثانيا . العبرية خارج إسرائيل

المبحث الثاني . التحليل الزمني للغة العبرية

أولا . العبرية قبل القرن التاسع عشر

ثانيا . العبرية في القرن التاسع عشر

ثالثا . العبرية في القرن العشرين

المبحث الثالث . عوامل إحياء اللغة العبرية

أولا . العوامل السياسية والعسكرية

ثانيا . العوامل الاقتصادية والاجتماعية

ثالثا . العوامل الدينية

رابعا . العوامل الديموجرافية

خامسا . العوامل الثقافية

المبحث الرابع . اللغة وتغيرات اللاندسكيب الحضاري في فلسطين

أولا . تغيرات الجغرافيا الثقافية

ثانيا . تغير الحالة التعليمية

ثالثا . اندراس أسماء المعالم الجغرافية